مخلوقات الأشواق الطائرة

إدوار الخراط

مخلوقات الأشواق الطائرة

إدوار الخراط

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

الغلاف

للفنان : عدلى رزق الله

الرسوم

للفنان : أحمد مرسى

الأخراج الفنى : عمر حماد على

وتُطْمِعُنِي الأشواقُ حتى اذا بدا

جمالُك لم أملك لساناً ولا نطقا

« طهارة القلوب »

الدريني

وجه مقطوع

« وعلى وجه الغمر ظلمة »

قلت للوجه الطافى على الغمر : لماذا . . لماذا تركتَنى ؟
كانت فى نظرته إلىّ معرفة القديم
كنت أحاجه ولم يجاوبنى
قالت : وجهك ، من على جنب ، الآن فقط أراه . مثل وجه اخناتون . متوفز وحساس . واستدركتْ : لا تظن أننى أغازلك . أجبتها باسما : الآن فقط أدركتُ انك فعلا تغازلينى . فقط عندما قُلتِ . ولن أفوّت الفرصة .

ضحكتْ عن أسنان قوية ، لاحظت أن السنتين العلويتين مربعتان تقريبا ، كبيرتان ، فيهما أثر التدخين .

أحسست بحرارة جسمها جنبى ، تحت المائدة المزدحمة بالمدعوين والمدعوات ، والفضيات الثقيلة وأطقم « ليموج » . وكانت القاعة عالية التدفئة ، والسفرجى النوبى يملأ لى الكأس الكريستال المضلع الذى يتموج بصهبة النبيذ ويشع بشرر الضوء الحاد .

رفعت كأسها لى ، فى حركةِ تواطؤٍ شبه معلَن ، وجهها الخلاسىّ الداكن يلمع بالانفعال وحُميّا المائدة . رأيت قطرة عرَق كاللؤلؤة على بلاطة الصدر الغامقة بين الثديين المدورين الصغيرين ، من غير سوتيان ، متباعدين تحت بلوزتها الحرير . كان لون جلدها الداخلى بُنّياً محروقا أكثر من لون وجهها ، غضا ومثيرا .

قالت ، وقد ضبطتْ نظرتى : هل رأيت وجه سيبيليوس ؟

فلم أرفع عينى .

قالت ، بِفقْهٍ وتوسل : ما زلت مسحورةً بقوته الصخرية . والعلاقات متعددة الصوت بين أعمدة الأرغن المعدنية وهذا الحجر الخام الذى يرسو عليه الوجه المقطوع . هل رأيته ؟

قلت مسايرا ، جادا ، بنصف ابتسامة : نعم . ذلك التوتر الخاص بين الخفة والرسوخ ، بين الموسيقى والصَخَر .

سوف أقول فى زمانٍ سحيق : ما أشبه وجه سيبيليوس بالوجه الواحد لرجالها الآخرين ، مربع ، صارم ، نهائى السلطة . وما أبعد وجه اخناتون عن هاتور .

أحسست فخذها يستريح الى جانب ساقى وأغوانى الخط المتعرج بين بياض الكف والسواد ـ تقريبا ـ فى ظاهر اليد ، وهى تمد لى كأسها ، ثانية .

سورٌ من الحجر الأبيض الهش أمام عصف الأمواج العاتية .

قلت ، وأنا أضغط بجسمي ضغطا هينا على فخذها ، وقد انتصبتُ :

ـ عندما تعودين إلى أنجولا ، بعد الاستقلال ، هل تعتزمين العمل في الحجر ، الرخام ، ونحوها ، هل تغويك مادة مثل الخشب والألياف ، أوراق الشجر أو حتى القش والقماش والبوص إلى آخره ؟ يعني ، ماذا أقول ؟ هل أقول المادة العرضية الزائلة سريعة البلى ؟ الفن الذي يُسقط ادعاءات الخلود يعني .

قالت : أنت أسلافك سادة الخلود أليس كذلك ؟

قلت : الخلود ؟ كل مادةٍ الى فناء . كل شيء الى فناء .

كانت نظرة عينيها الخضراوين ، من فوق وجنتيها الداكنتين العظميّتين قليلا ، مرهفةً ومشتعلةً بحزن ، وشوق . بينما شفتاها اللحيمتان ، فيهما لَمًى وحمرة مظلمة من غير روج ، مفتوحتان ، لا تنطبقان ، توحيان بشهوية الأسلاف .

وكان السفير يتحدث بنبرة ديبلوماسية هادئة وعليها سيماء الموضوعية عن الغارة الأخيرة على بحر البقر ، واجاب طارق نور الدين بوصف ضافٍ عن النقاط الحصينة ، على الشط ، وقال إنها مكونة من ثلاثة طوابق على الأقل ــ بعضها أكثر ــ وإنها تغوص في باطن الأرض وترتفع واجهاتها الحجرية حتى تصل إلى قمة الساتر الترابي ، بعلو إجمالي ٢٥ مترا أو أكثر من القاع للقمة ، وبطول

٢٠٠ متر تقريبا . وكل طابق من عدة دُشَم من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان السكة الحديد المنزوعة وألواح الصلب . وبين كل طابق وآخر عازل من الشبكات الحديدية والخرسانة المسلحة والرمال المدموكة بسمك مترين تقريبا . وقال إن كل دُشْمة فيها عدة فتحات تمكّنها من الاشتباك فى جميع الاتجاهات ، والدُشَم مجهزة بقطع المدفعية من عيارات مختلفة ، وفيها دبابات أيضا ، وتتصل بعضها ببعض بخنادق مواصلات عميقة مبطنة بالواح الصلب وشكاير الرمل ، وقال إن هذه النقاط مُعَدَّة لتلقى قنابل ألف رطل دون أن تتأثر ، وإن الامدادات فيها ـ ذخائر ومياه وتعيينات ـ تكفى لمدة لا تقل عن شهر . وقال إنها يمكنها أن تقيم سواتر من النيران متصلة على طول الشط ، دون ثغرة ، وإنها مصممة بحيث لا يمكن أن تُنال .

كان صوته تفصيليا ، محددا ، ليس فيه ما يوحى باليأس .

قالت لى : هل قابلت ايبلا هيلتونين ؟

قلت ، بغضب : نعم ، كلمتنى هى أيضا عن اخناتون . امرأة صغيرة القد ، كيف صنعت هذا النصب العملاق . . . ؟ هل لاحظتِ القوة فى أصابعها الرقيقة ؟

كانت مدام عايدة ، زوجة السفير ، تجلس على مبعدة قليلا ، فى الجانب المقابل للمائدة . (عرفت فيما بعد أنه وزير مفوض فقط

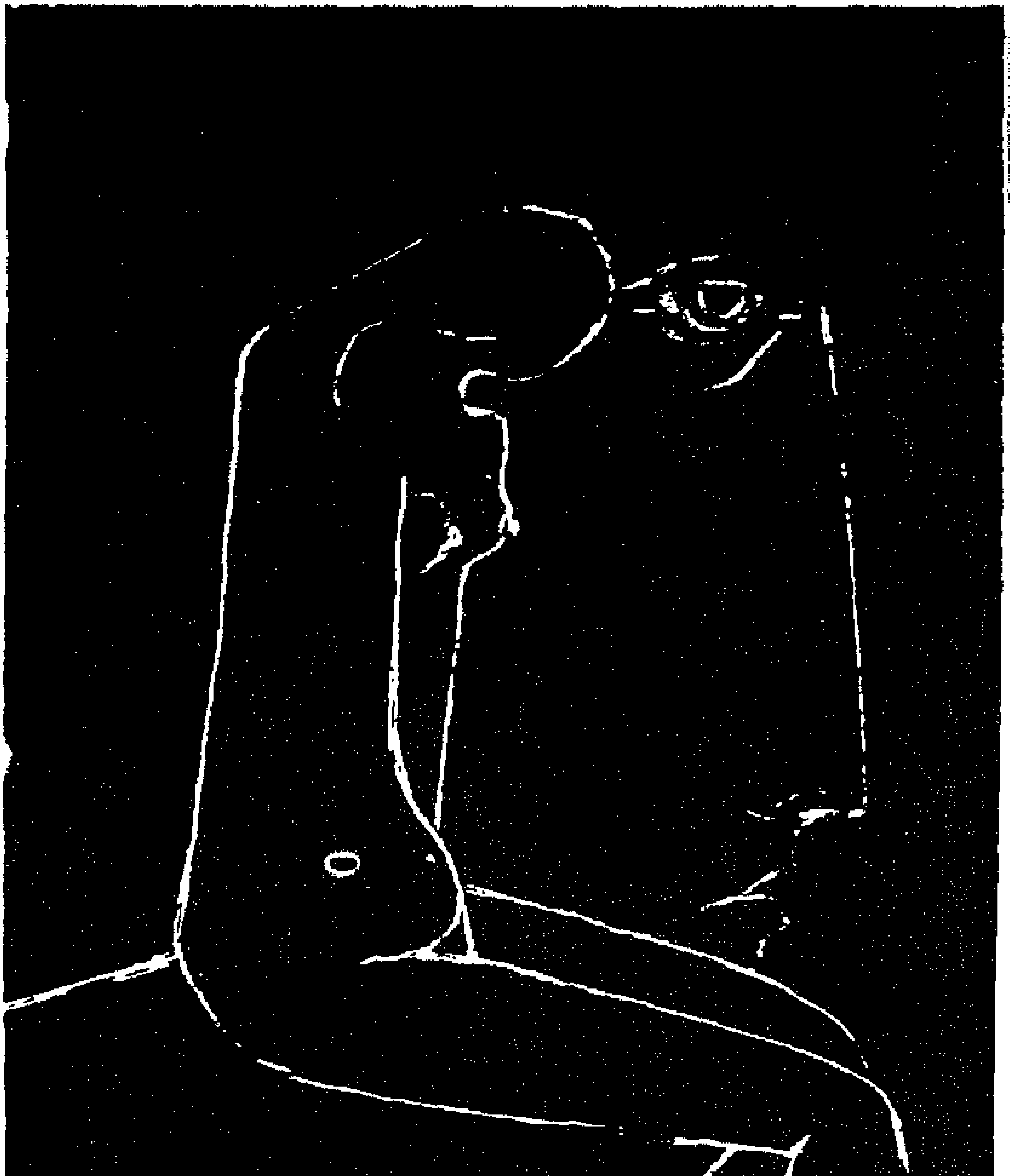

وأنه أحد ثلاثة اقباط وصلوا الى هذه الدرجة فى السلك الديبلوماسى ، أحدهما فى الملايو والآخر فى الكونغو) وكانت نحيلة وأنيقة جدا وصعيدية الملامح ، ذكّرتنى فجأة بعايدة مكرم عبيد وسألت نفسى : ترى أما زالت تعيش .

قالت لجارتى بالفرنسية ، بلهجةٍ باريسية لا تشوبها أدنى لَكْنَة :

ـ مارتا ، هل خلصت من بورتريه أجستينو نيتو ؟

ابتسمت جارتى وقالت ، بلكنةٍ برتغالية قليلا :

ـ وهل يمكن أن أخلص منه أبدا ؟

وعرفت فيما بعد أن علاقة حميمة تربط بينهما .

لم أتمالك ، فضحكت بصوت عال ، لعل النبيذ كان قد صعد الى رأسى . التفتت إلّى الانظار لحظة ، ثم عاد لغط الحديث عن الحرب والسياسة وفضائل أصناف الأكل المصرية وميزان القوى الدولية ، مع ايقاع اصطدام الشوك والسكاكين على الصينى ، وارتفاع الكؤوس وأمواج المودة التى تأتى مع الطعام الجيد والشراب الجيد .

تذكرت أننى سأقول فيما بعد الزمن الأخير :

ـ عذبتنى الثانية لسيبليوس زلزلت قلبى

وأنها سوف تقول :

ـ الموسيقى بناء وتشكيل فى ذاته . تصميمٌ نصىٌّ بحت . ليست هزة للقلوب . ولا توحداً بمشاعرك أنت . ليست عاطفية .

أم أننى لم أقل ، ولم يحدث ؟

فى قلب الليل كانت بين ذراعىّ وساقىّ ،عارية وصلبة القوام وأملوداً لدنة معا . حارة وباردة الجلد ملساء معا . جسما خالصا . تقاطيع هذا الجسم كاملة ، برونزية الصياغة كانت أصابعها المحنكة تتحسسنى وتعرك انتصابى تعجم عوده بدُربة ومعرفة.مر بخاطرى خطفا : كم مرة فعلت هذا مع الرجال ، وتماثيلهم ؟ وكأنما قلت ، مخطوفا : ما أهمية ذلك ، ما معناه حتى ؟ وكان ريقها رطبا وشفتاها الكبيرتان فيهما سخونة ، ومَلاءة خاصة . وكانت تضحك فجأة ، وحدها ، من سعادة اللحظة . ولم تكن ترانى .

الأزهار المُرّة صلدة .

عندما خرجتُ على وجه الصبح فى انتظار التاكسى الذى طلبتُه لى بالتليفون ، باللغة الفنلندية ، والذى سوف يحملنى الى غرفتى فى الفندق ـ وقد رأيت وحشتها وخواءها من الآن ـ صدمتنى هبَّات البرد ونفذت الى عظمى . أحكمت لف الايشارب الصوف حول رقبتى تحت ياقة المعطف الثقيل . كانت أكوام الثلج الصغيرة القذرة على جانبى الأرصفة ومفارق الطرق تذوب ببطء وتسيل بماء قليل له

خرير مسموع فى صمت ما قبل الفجر . وأنوار مصابيح الشوارع صفراء تومض بهالاتٍ غير منتظمة الاستدارة فى بلل الهواء المحمل بقطرات دقيقة جدا من ماء الضباب . الأبنية الراسخة تبدو لى ثقيلة ومغلقة وجدرانها السميكة لا منفذ منها ، وطأتها لا تحتمل . ورأيت على ناصية الشارع الكلمات تنير وتنطفىء بالنيون : "MILK BAR" ووراء الواجهة الزجاجية الممتدة بطول المبنى ، ساطعة من الداخل بالنور الثابت ، قامت علب الزبادى المرصوصة فى أهرامات منتظمة ، وأنواع الجبن فى أقراصها المدورة الصفراء الصلبة ومربعاتها البيضاء الطرية المتماسكة وزجاجات اللبن منتفخة البطون متعددة الأحجام والمعلبات الأخرى التى لم أعرف أن أقرأ ما عليها ومكعبات الزبد فى أغلفتها الفضية ، ووراء زجاج الثلاجة الضخمة ، كلها أنيقة كأنها موسيقية النَسَق ، تحسب أنه لا يمكن أن يمسسها سوء .

تحت الواجهة الزجاجية العريضة تماما ، كان الرجل راقداً على الرصيف المبلول ، معطفه مفتوح عن بطنه الضخم الذى يرتفع وينخفض فى إيقاع التنفس الصعب ، وقميصه مشعث خرجت أطرافه من حزام البنطلون ، وجهه محمرّ مربدّ ومغمض العينين فى نسيانٍ تام . قلت : هل تتركه هذه المدينة ، هذا العالم ، كما تركهما ؟ قلت : ألن يسعفه شىء ، ولا أحد ؟ قلت : أبحاجةٍ هو إلى نجدة ، أم فى هذه الظلمة نجدته ؟ ودهشت اذ جاءنى من بعيد صياح ديك ، طويل وموقَّع فى السكون ، ونباح كلب لا يكاد يستبين . كأننا فى

قلب الريف . بينما التاكسى يصل إلى وسط المدينة بعماراتها الشامخة الصامتة ، ونفيره ، من النوع القديم ، ينبهنى : « أُوْ . . أُوْ . . » موجزاً وعميق النبرة . عاد إلىّ فجأة ليل الطفولة المتوهج أبدا بظلامه الخاص وتحركت أشواق الطفولة القاهرة ، وقلت : ما أكثر ما يحمل الفجر من مرارة .

قلت فى ليلى : أيسقط دمى فى الشوارع أمام وجهك ؟

قلت : هربت من وجهه الأرضُ والسماء ، ولم يوجد لهما موضع .

وقلت : كثير التحنُّن . لم يحوِّل وجهه عنك .

لكنه لم يتكلم . لم يجاوبنى .

كان قلبى ممتلئا أشباحا والظلمة التى فىَّ كاملة .

وجه الحجر لم يتدحرج عن فم القبر . هل جاء ، ومضى ؟

تضرعتُ : مدِّى أصابعك والمسى فمى . لكى يضىء وجهكِ كالشمس فى داخلى وتصير جوارح جسدك بيضاء كالنور . أفى هذا خلاصى ؟

وجدتُ نفسى طعينا . آثامى مدفونة فى أرض جنَّاتى . أبيتُ طول الليلّ على شواهد المقابر وأقيْم طول النهار محرقة متقدة لها دخان دسم يرتد إلىّ دون رسالة .

كانت على جدار غرفتى فى الفندق بقعة بيضاء ترفرف وتعطينى حساً بأنها فراشة كبيرة جاءت من الأشجار تحت أنوار الشارع ودخلتْ

من النافذة . صربتها بيدى ، بخفة ، كأننى أهشها . تضخمت فجأة واتسعت وانفجرت . دون صوت وسالت بعصارةٍ بيضاء نقية وكثيفة كالعجين . ومن السائل البطىء الثقيل تجسد لى وجهها ، معذبةً بالآ. ، ممزقة ، تصرخ بالشكوى دون أن تقول كلمة واحدة ، وتسيل العصارة البيضاء من عنقها . ضَرْبَتِى قَتَلَتْها . من هى ؟ هل أعرفها ؟

ويجانب الوجه الذبيح كانت البقعة البيضاء تكبر ، وتتجسم ، تتخذ معالم وجهٍ آخر ، غامضٍ وصلب ، دون جسم ، دون عنق ، نظرته ثابته . هو ، يعرفنى . رأيت أن ورق الجدار كان باهتاً منقوشا بزهور صغيرة حمراء وصفراء دقيقة الخطوط .

وما زال وجه الفتاة المقتولة يحمل لى إدانة نبائية .

. م الذى لا يُطاق .

تؤرّقنى الجريمة .

١٩٨٩/٧/٢١

أشواق المرايا

«مُخَايلةٌ وعَدَمُ تحقيق»

عندما أوشك القطار على الوصول ، وتباطأت دقات سرعته قليلا ، كانت رائحة البصل فى الحقول ، بالليل ، تكاد تغلبنى . كان الجو حارا ، والهواء شحيحا ، والنافذة مكسورة .

كنت قد قررت فجأة أن أسافر ، ولو وحدى ، بآخر قطار لألحق الليلة الكبيرة ، لم أكن قد حضرت مولد مارجرجس من قبل ، قلت : أسهر طول الليل فى المولد ، وأعود بقطار الفجر .

نفذت بصعوبة ، وسط الزحام ، من الباب الحديدى العالى مفتوحاً على مصراعيه ، وكنت أنقل قدمى بحرص وأنا داخلْ حوش الكنيسة بين أكوام النائمين والجالسين على الأرض ، فى حلقات وجماعات وعائلات ، افترشوا الحصير والأحرمة الصوف القديمة والأبسطة القماش المتربة ، الأطفال عُراة تقريبا تحت ملاءات السرير عليها آثار البقَع المصفرّة ، والنساء بقمصان النوم عارية الأكتاف ، والرجال بالجلاليب أو بالفانلة والبنطلون ، وبينهم العجائز يقظات

متربصات لِمَن كَدَش شعرهن الأشيب فى أطرافه آثار الحنة ، وعليهن الطُرَح والفساتين قديمة الطراز مغبرّة السواد .

عندما دخلت صحن الكنيسة الغاصة بالناس كانت القبة شاهقة ومعتمة ، النساء على جنب ، غطين رؤوسهن ، يحاولن إسكات أطفالهن ، والرجال واقفين أو جالسين على الدكك الخشبية اللامعة ، يشاركون فى الصلاة بالقبطية والعربية . كانت أمواج القُدّاس الليلى تعلو وتنخفض تحت الأنوار متعددة البؤر من السقف وتحت تيجان الأعمدة الرخامية الرومانية الشكل . صور المسيح وتلاميذه القديسين تبدو باهتة وتحتها نور الشموع أصفر وضعيف . أمام حجاب الهيكل صورة هائلة لمارجرجس يطعن الحية العظيمة ، والنور الكهربائى يومض على زجاج الصورة ويكاد يطمس معالمها .

انتظرت قليلا ثم خرجت إلى الحوش المزدحم ، ومررت على باب الكنيسة بالقس فى ثيابه السوداء يصلى ويُعزّم ليخرج الشيطان من امرأةٍ مصروعة ، ولاحظت حلل الطبيخ وبوابير الجاز مطفأة تحتها . قلت : تعشّوا من زمان ، وناموا ، أو سهروا فى انتظار العريس .

كانت رائحة البصل من الحقول قد خَفّت الآن كثيرا ولكن أنفاسها مازالت معلقة فى السماء المكتومة .

أصداء القُدّاس غير المفهومة تأتينى من داخل الكنيسة والتسابيح

والترانيم من المولد ، مختلطةً بأغانى الراديو والمواويل وترجيعات المزامير وايقاعات الصاجات السريعة المجوّفة النبرة وشكاة السمسمية من خيام الأذكار وغناء الرجال القوى الخشن من السرادقات المفتوحة المقامة على قضبان خشبية رفيعة ، بين صفوف أكوام البطيخ المفروشة على الرمل وعربات الفاكهة واللب والسودانى والمِجِيلى والكُشَرى ، وباعة الفلافل التى تطش فى طاسات الزيت الضخمة الفوارة ، ونصبات المقاهى المُرتجَلة بموائدها الصفيح ، ومدخنى الشِيشة والجوزة ، والوشامين الذين تتقد على البرك الخشبية أمامهم فوهاتُ لهبٍ حادة قصيرة من اسطوانات الغاز الصغيرة يرسمون بالإبرِ الدوارة الدقيقة ، والوشم الأزرق ، علاماتِ الصليب على معاصم النساء وصورَ الشهيد العظيم على صدور الرجال .

فجأةً رأيت المرآة الكبيرة القديمة مسنودة من الخارج على الباب الحديدى لحوش الكنيسة .

كان لها إطار مذهب باهت الآن ، سقطت قشرته عند الأركان ، مشغول على هيئة أزهار وأغصان متشابكة متلوية على الطريقة القديمة بينها وجوه الشاروبيم الصغيرة المدورة منتفخة الخدود . وكانت ناصعة الزجاج ، صافيةً بنقاء لاتشوبه هبوة ، وعميقة .

كانت ساحة المولد الغامضة بالليل ممتدة بداخلها ، كلها ، بأنوارها المتراقصة : حبال المصابيح الكهربية الممدودة والمتدلية ، وكلوبات الغاز اللبنية الضوء ، ومشاعل النار المدخنة على عربات الترمس ، والبرتقال الصيفى .

رأيت الرجل الغريب يقف أمام المرآة ،جامداً ، يحدق فيها بثبات ، لا يتحرك . . كان نحيلاً وطويلا ، قدماه الغليظتان تبدوان مفلطحتين ومتربتين فى الصندل المعمول من مطاط العَجَل وحبل الليف . وكان عليه جلباب صوفى قديم رثّ نسيجه وخفّ وتقطع ، وظهر تحت تمزقاته جسمه الداكن وعظامه العجفاء .

ورأيت حول رقبته الضاوية ـ تفاحة آدم كانت كبيرة جاحظة ـ صليباً خشبياً ضخما بأطرافه المورقة ، معلقاً بحلقة من الجلد الأسود الذى بدا لى فى أنوار الليل المهتزة ، غيرَ نظيف تماما .

كان معتمرا بكوفية طويلة كالحة السواد تلفّ رأسه وتنزل على كتفيه .

وكانت عيناه عميقتين ونارهما متقدة فى الحفرتين الغائرتين .

مَنْ الرجل ، عم لاونْدِى ؟ لا يمكن . . كنت طفلا عندما عرفته لأول مرة ، فى أخميم . كان يسرق لى الحلاوة الشَعْر وآكلها منه ، خِفية.منذ كم سنة ؟ ثلاثين ، خمسة وثلاثين سنة ؟ أو أكثر . لم تتغير

فيه نأمة ولا ملمح . هو نفسه دون أدنى شك ، ودون أدنى تحول .

استبدت بي الغرابة فخطوت إليه دون تردد ، ودخلت حيز المرآة الكبيرة .

كانت المرآة خاوية تماما ، رائقة وساطعة ، ليس فيها أدنى رقرقة .

بينما المولد يموجُ ويغصّ حواليها .

لا الرجل ، ولا أنا ، ولا شيء مطلقاً داخل الإطار القديم المشغول بالورود ووجوه الملائكة الناصلة الذهب .

طلبت روحى ، يانور عينى . وروحى لك .

رأيته ، مرة واحدة .

نحيلاً طويلا .. دقيق القامة يبتسم أهون ابتسامة . وجهه شاحب وحليق وأنيق تحت الطربوش المكوى ، الحاد الأطراف ، مائلاً على جبينه أقل ميل ، بذوق وغندرة الثلاثينات المرهفة الحس .

وكان جلبابه سابغا ومهفهفا عليه ، من الحرير السمني السكروته ، وعليه بالطو بلدى جبردين أسود ، محكم التفصيل ، غالى القماش ، ينزل على الجزمة الصفراء ، برقبة ، أزرارها الدقيقة المتتالية مدورة ولامعة وصفرتها أدكن قليلا من جلد الجزمة .

كنت أقف وراءه مباشرة . أراه هو ، ولا أراني ، في المرآة .

ليس في المرآة إلاّه .

ثم رأيتها . هل هي التي في داخل المرآة ؟ أم هي أمامي ، تواجهني ، خارج المرآة ؟

ابتسامتها لي أنا مُغوية ، وعيناها في أنوار المولد صفراوان خضراوان متقلبتان بشهوية . كانت أمامي ، فستانها الحرير السمني ، تحت الملاية السوداء الكِريشة ، ينساب على جسم بض ، ونهداها يرفعان القماش وتبدو الحَلَمتان منتصبتين وراء النسيج المنسدل بنعومة .

كان شعرها ظاهراً تحت طرف الملاية ، ملموما بعصابةٍ حمراء تقمط جبينها الناصع المدور ، وكان حذاؤ ها عالي الكعب مدبب البوز صفرته داكنة وسير الحذاء يلف ظاهر قدميها ويحبكه يضغط على اللحم قليلا .

كانا يتقدمان إليّ ، بخطوٍ سريع مهاجم . وكانا متطابقين في كل شيء . جسم واحد ، ثنائياً مزدوجا دقيق القِسمة . ولم يكن هناك حولي حركة ولا همسة . تَمَاثُلٌ تام في كل شيء حتى حركة الأصابع الممتدة المتقبضة التي تمسك بي . إلا في ضميريْ المذكر والمؤنث . حتى نظرة العينين ، واحدة ، في حيز المرآة الذي ليس فيه شيء آخر .

ثقبٌ ، فجوة ، هوة ناصعة نقية مجوفة فى قلب ساحة المولد التى تضطرب وتمور وتعج بالناس والأشياء . فراغٌ صامت فى قلب ضجيج البهجة والاحتفال . وكأننى ــ أنا ــ على التخوم . لم أعد منظورا ، لاهنا ، ولا هناك .

قلت : ليس هذا انعكاساً لأحدهما الآخر .

قلت : كلٌّ منهما قائم لا يريم . وكل منهما مُخَايلة ، مُخْتل .

الشهيد الرومانى كان قد ضرب الحية العظيمة على شط النهر ، تحت سور المدينة ، وماء النهر كان يتدفق دما . الحية العملاقة تنتظرنى وتواجهنى بعينٍ لا تطرف . أمواج الدم شربتها الأرض ، سدى ، هدراً ، مضيَّعة .

قلت : لماذا أقول قولى للمياة المنصَّبة ؟ شفتا المياه لا تحفظان القول .

قلت : كنت أريد المعرفة . كنت أريد الحب . كنت أريد العدل . .

سمعته ، من داخل عمق المرآة ، دون صوت : هذا أوان المحاق ، ومطلق الغيبة .

قلت : أشواقُ مرايا الوجود

قال : وجدانُك إياها فقدانٌ مستديم . الوجود نهاية . أما هنا والآن ، فما من نهاية ، ولا من بداية .

استدارت إليّ فجأة . وانحدرت الملاية عن كتفيها قليلا . كان فستانها معلقا بحمالتين سوداوين ، تلمعان ، وكانت سمراء ، مبتلة اللحم ، رقراقة ، تمدّ لى أصابعها المكتنزة الواضحة المفاصل .

أمامى ، أيقونةٌ طويلة مشعة ، ألوانها فضية ذهبية ، على خشب شفاف فيه شقوق لا تُرَى . النور يصعد اليها من شموع غير منظورة يغذوها الزيت المتقطر من عظام صدرى . وكانت تغدق علىّ معرفةً لا حد لها ، وتحجزنى عنها فى وقت معا . وكنت أريدها . الشهوة والمعرفة معا . وأدركت مدى تعثرى وقلة حيلتى .

قلت : طوّحنى الحلم ، وتخبطتُ خلف الأخيلة ، يداى خاويتان وروحى قاحلةٌ وسخريتى ملء آذانى .

لكنها كانت تعطينى ، بحسابٍ أو بغير حساب سواء . عطيّتها مجدى وتسبيحى . ورأيت أنها محبوسة داخل المرآة . محاصرة . الإطار المذهب القديم يحدها ، وحدها ، وهى بؤرته .

قلت : أهى تتحدىَ الزوال ؟ هل تقف فى الدوام ؟

قلت : طلبتِ منى روحى يانور عينى ، وروحى لكِ .

كانت الحدود قاطعة . ما فى داخلها مُركّز ساطعُ النور يؤكد

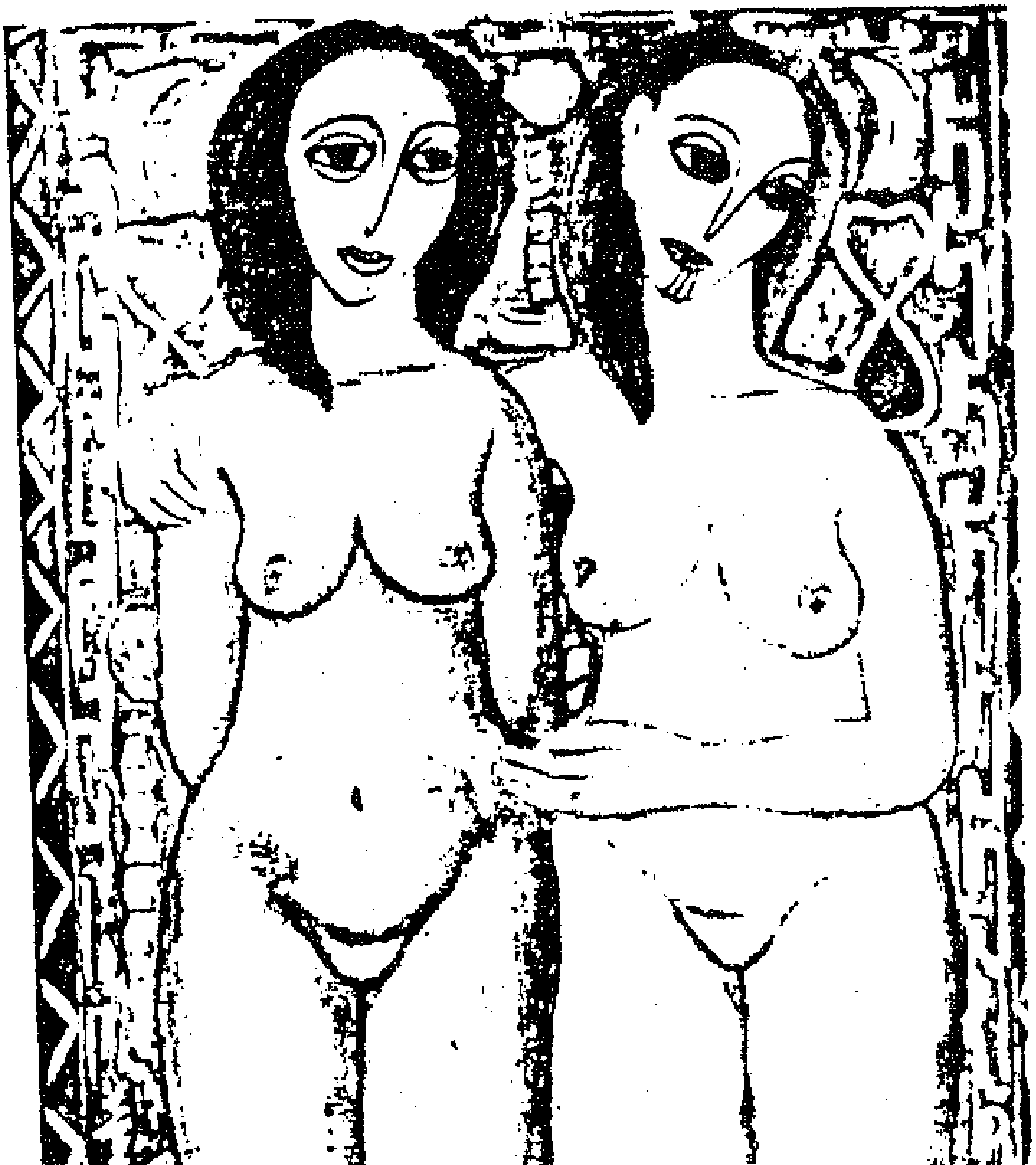

تَعيُّنَها ، ويثبته . وفى هذا الداخل كان تغيُّرها هو نفسه وحدانيتها .

كانت تناديني بكلمات المحبة والحنو ، وبذاءات الشهوة معا ، داعرةً ووامقة حباً ، تدعونى ، بغواية لا أقاومها ، الى تخطى عتبةٍ قاتلٍ عبورها . ولم تكن المقتلة ما يُثنيني . قلت : « نفسى ليست ثمينة علىَّ » . ولكن الخط الفاصل حادٌ ورفيع مثل سن الشفرة وعميقٌ مثل هوة لا قرار لها . ومجاهدتُه تبدو محالا . أَمد اليها يدى فلا تبلغ شيئا .

ومع تموج جسدها اللدن ، وتضرج الشفتين بالدم ، وعمق الكحل على العينين النجلاوين الضاربتين ، لم أجد حرارة ولا أدنى دفء . كانت فى داخل المرآة ، ليس لها مادة ، مع تجسدها . لم يكن هناك معى إلا خواء هذا الداخل البرىء من كل عضوية ، كان ملمس فمها المفتوح بارداً ومثيرا . أنفاسها متتابعة مخطوفة تحت شفتىّ ، وبين ذراعى استحالةُ التلامس مع أنها كانت تلتصق بجسمى المنتفض . كأننى أواجهها لا أعانقها ، كأنها شىء لا ينُال قط . فى مكان آخر ، فى موقعٍ لا يصل اليه أحد قط . وهى مع ذلك حميمةٌ ومتقدة بالشهوة والمحبة معا . لم تكن امرأةً ، بل كانت مطلق المرأة ، تتضرع وتتسلط ، تئن وتشكو وتتطلب ، خادعة وآمرة لا راد لها . طفلتى وغانيتى الشبِقة بالحب .

اشتعلتُ فجأة ، وقذفتُ كما يقذف المشنوق لحظة إطباق الحبل على العنق .

أوقفني داخل المرآة وقال : ومع كل المعرفة ، فما من عرفان لك قط . لأنك بلا إيمان .

وقال : وجُودُك داخلٌ مخايل . فما من وجود .

قلت : إلا الحب . إلا الحب . إلا الحب . وحدهَ الحب يحمل وَهْم الوجود .

أما هو فقد كان يضرب البالطو ضرباتٍ خفيفةً بعصاه الأبنوس اللامعة ، على وتيرة منتظمة ، مع ظلِ ابتسامةٍ لا تكاد تُرى وكان ـ تقريبا ـ حانياً وعطوفا . عيناه ثلجيتان بنظرة مسددة إليَّ باستمرار : ألم تكن تريد الحب ؟

قلت : وأردتُ المعرفة . وأردت العدل . وأردت الحرية .

قال : والصبا المقيم ؟

قلت : كنت موقِناً أنني سأموت قبل العشرين .

وقلت : وقبل كل شيء أردتُ الإيمان . عرفُته فهل فقدتُه إلى الأبد ؟

قال : السؤال سؤالك . والباب موصد ، بإرادتك .

فلم أجرؤ ـ وهل ترفعت ـ أن أقول : لا . الإرادة مطلقة .

ألم يقل شيخنا جلال الدين ، « إن غير العاشق وحده ، يرى

نفسه فى مرآة الماء . » فى حلم الماء ، فى ماء الحلم ، صورة الوجود هى استحالة الوجود . الباطنُ وحده هو مُخايَلة المتعيّن يُحيق به العَدَم . أما العاشُق الحقُّ فلا يرى فى المرآة الا الفناء .

قلت : لا وجود عند ظهور هذه السطوة .

كان جرس الكنيسة يصلصل مليئا وقوى الرنين ، ويقرع تجويف السماء النحاسى بدقات تُلقىَ كتلاً صماء تغوص فى روحى وتخبط القاع .

أحسست أن أطراف أصابعى تتوتر وترتعش وكأنما ينطلق منها شَرَر متعاقب لا أراه ، يدِى ممدودة حتى آخرها ، هى وحدها ضارعة ، مستقلة عنى ، تخترق حاجزاً لا يلين لا يهتز لا ينفتح الا بمقدار نفاذ أصابعى منه . ثم سقطت الأصابع ، مبتورةً من جذورها ورأيتها بهدوء ، بما يشبه اللا مبالاة تنفصل عنى ، كأنها لم تكن تمتّ لى بصلِة يوما .

وأحسست المرآة تشطرنى وعرفت أننى أتلاشى ، ولم أكن فزِعا بل مطمئنا وراضيا ، وقلت : وليس عندى من قول .

١٩٨٩/٧/٢٤

من غير إجابة

« لَبْسٌ غير محلول »

هذه حكاية خضّبتُها بدمٍ قديم ، هبت عليها أنفاس النار اللافحة مع سكراتِ عشقٍ بائد .

كان موعد درس الرسم يزعجنى . الثالثة بعد الظهر تماما كل يَوْمَيْ اثنين وخميس . كان معنى ذلك أن أخلص بالكاد من مكتب الترجمة وأسلّم على الخواجة ساسون ، وأقطع شارع سعد زغلول صاعداً حتى محل بنيامين فأخطف سندوتشين : فول ، وفلافل آكل فى الطريق الجانبى الذى تقع على قمته سينما ماجستيك ويحفه السور الطويل الذى لم أعرف قط ما وراءه ، وأنفذ من شارع السلطان حسين ، فالنبى دانيال ، فشارع فؤاد ، وقبل حلوانى « بوزدو » أعبر الى الرصيف المقابل ، وأدخل الى حارة واسعة قصيرة ، فيها البيت العريض المنخفض .

السلالم خشبية تتأرجح وتئزّ تحت قدمى ، وعليها دائماً تراب خفيف ، وواطئة مريحة تدور فى الحوش الكبير المدكوك بالحجر الأبيض

الذى نعّمتْه السنوات ، ويغطيه سقف عالٍ زجاجى مثلث الأضلاع وقد بهتت ألوان الألواح الزجاجية وتحولت الصفرة الى صُهبة فاتحة ، والزرقة الى بنفسجيٍ كـامد ، والضـوء يتقطر منهـا نزرا فيـه حمرة مكتومة .

قلت : ألوان الصبا ، ما أشد قتامتها ، وعنفوان نذيرها .

كنا أربعة فى الدرس عند المايسترو أنـطونيونى : أنـا ، وأحمد عزمى مدرس الانجليزى فى المدرسة المرقسية الذى مات فى شبابه قبل أن تزدهر موهبته الحوشية ، والأخوان مَرَادْلِى : إحسان الذى كـان حتى فى تلك الأيام مدورا سمينا يتسايل شعره على جبينه وضحوكاً مقبِلا على النساء وطِيب الحياة ، وإلهام الذى كـان موظفـا بمخازن وزارة المعـارف العموميـة فى محرم بـك ، نحيلاً وأَمْيـل الى السمرة والتأمل والانطواء .

وكنا نأخذ الدرس فى الصالة الكبيـرة التى حولهـا المايسترو الى مرسمٍ ومدرسة ، واسعة ويتدفق النور من شبابيكها الزجاجية العالية المـطلة على المنـور ، وعلى الجـانب الآخر أبـواب الغـرف الخشبيـة الضخمة المصاريع ، مغلقة على أسرارها .

وصلت متأخراً يومها ، فتح لى أحمد عزمى وأشار لى خفية ألا

افتح فمى . كان المايسترو يقف على جنب . وبيده عصا طويلة رفيعة يشير بها الى الموديل العارية .

كانت الموديل تنظر إلى نقطة غير محددة ، وهى واقفة على كرسى حمام منخفض مدور مدهون بالأبيض أمام الشباك العريض ، النهار الخام المصفّى يضىء بوضوحٍ وسطوعٍ جانبها الأيسر ، وأنا داخل ، كلّه ، أما جانبها الآخر فيقع فى نوعٍ من الظل المنوَّر المشع ، من انعكاس ضوء الظهر على الحائط الأبيض والأبواب البُنّية الخشب .

نظر إلىّ المايسترو نظرة صارمة ، وكأنها متواطئة فى وقت معا ، وأنا أنسلُّ الى مقعدى المعتاد جنب التليفون الأسود فى ركن الاستوديو ، وأفتح كراسة الرسم العريضة ، وأُخرج قلم الفحم ، أحاول أن أشرع فى الدرس .

كانت الصالة حارة .

والمايسترو يمضى فى شرحه ، بالفرنسية الايطالية اللكنة والعربية المكسورة معا ، لعبة النور على تشريح الجسم الأنثوى ، وهو يدفع بالعصا ناحية الموديل ، من غير أن ينظر اليها ، دفعاتٍ قصيرةٍ عصبية كأنه يوشك أن يخز هذا الجسم أو يخترقه .

أشار الى ظلال الثديين الصغيرين ، طريين ومتماسكين فى وقتٍ معا ، وكانت الدائرة التى تحيط بالحلمة واسعة داكنة وفيها هذا

التحبيب الدقيق الذى يبدو للعين ، فى النور القوى ، خشناً وسط ملاسة جلد الثديين ، لونها أفتح قليلا من السمرة القمحية للجسم كله . كانت سمرتها غضة ناعمة ومطفأة ، كأنها مترية قليلا .

ـ بص كويس Les seins, ronds, consistants ، موش جامد ، زي الجوافة ، موش نازل ، موش mous زى . . زى واحد عجينة . . 0 ، دا بُصّ كويس فيه . . شوف ال correspondance بينه وبين ال Pelvis شوف ال pelvis بتاعو عايزين ال Sculpture بتاعو مش بس الألوان . كمان بُصّ . . . La Qualité des ombres

وكان كلامه عن النِّسَب ، وعظام الحوض غير واضح لى تماما ، وهو يطعن بعصاه منطقة الظلال الغامضة تحت البطن . كان ردفاها المكتنزان يبدوان كأنهما أثقل مما تحمل الساقان الطويلتان . وكانت نحيلة ولكن بهذا النحول الزائف لأن الجسم ملفوف وكامل التكوير . قلت : لاتزيد عن ثمانية عشرة ، أو عشرين ، بالكثير . أنثويتها واضحة . قلت : هذه ليست بنتاً بل امرأة حقا ، تشهد عليها تقاطيع الجسم الناضجة ، ونظرة العينين الخبيرة ، الغائبة الاهتمام مع ذلك .

مالذى يحجبنى ؟

صفاء الرؤية يعوقها ضربان الدم فى عروقى .

كانت مع كل نشوتها تلطف عن أن أنقل لها خيالاً ، بالقلم الفحم ، على ورق الرسم الابيض .

قلت : هذا الجسم قادرٌ على حنان كبير ، وعلى هوس العشق ، وتلهّبه . وكان هذا صحيحا .

كنت ، دون أن أعرف ، قد أبحْتُ له مجالي روحي ، كلها .

مصادر الحب صامتة .

كان بطنها هضيما ، وفيه من على الجنب ندبة عملية قيصرية واضحة لكنها بشكلٍ ما تزيد استدارته حبْكاً ووثاقة ، وفيه الخطوط البيضاء الباهتة التي تأتي بعد الحمل ، مع انخفاض البطن عند الولادة ، والدكنة الكامدة عند التقاء الفخذين المسحوبتين الملفوفتين ، وتماسهما ، وتبدو شعْرتها محلوقة جيدا أو منتوفة بالحلاوة ، بعناية ، لونها أكثر بياضا من لون البطن ، وربوة الفرج مليئة ومرتفعة .

كان جو الاستوديو كله في ذلك الظهر الأول حميا وبيتياً جداً .

فُتح باب غرفة لمحتها واسعة ومزدحمة بالسرير والمرايا والشِلْت ، وخرجت امرأة انطونيونى ، فارعة الطول وجسيمة وملهوفة في روب أسود عليه نقوش وورود حمراء صينية متوحشة التطريز ، ومرقت بجانبي داخلة الى الحمام الذي أعرف أنه طويل وحيطانه مبلّطة

بالقاشانى حتى السقف وفيه بانيو هائل له أقدام لبؤة من النحاس الأصفر المسودّ مفلطحة وناتئة المخالب .

قلت : لاتَرُدّ هواك ، لا تنأ بجانبك عنه . ولو لم تعرفه .

قلت : ليس للهوى من سببٍ ينطق به .

قلت : حبى فى دخيلتى يحتج للكِ علىّ ، ويحكم للكِ علىّ .

كانت وداد تعمل لى فنجان قهوة ، على السبرتاية ، فى غرفتها . وكانت رائحة السمك تصل إلىّ من النافذة الوحيدة المواربة الخشب التى تقع مباشرة فوق السرير بأعمدته الأربعة السوداء ، كانت تعطى لى ظهرها وهى أمام مائدة المطبخ المكسوة بورق جرائد مقصوص على أشكال هندسية الأطراف ، وعليها الحلل ، ووابور الجاز ، وفوقها المطبقية الخشب ورفّ عليه الأكواب والفناجين ، مرصوصة على نفس ورق الجرائد بنفس القصقصة الهندسية بمثلثات ودوائر مفرغة .

كنت جالسا على الكنبة الصُلبة المرتبة ، وأمها العجوز جالسة على الأرض ، جسمها كتل مكوّمة وكانت لا تكاد ترَى ، وتحكى لى عن تعبها فى مستشفى الملك فؤاد لعلاج عينيها . أما الرضيع فقد كان نائما على السرير ، تحت النافذة ، أطرافه رفيعة وهشة . جلست وداد على الأرض ، تحت قدمىّ ، بجانب أمها :

ـ ياخويا أهى عيشة وآخرتها التُربة . قِطيعة يِقطع دى عيشة

وسنينها . يعنى جالنا إيه من دى العيشة الهباب ؟ طب دَحْنا من ساعة ما عرفنا جوزى مقصوف الرقبة واحنا ما شفناش ساعة راحة ، وآخرِة المَتّمّة تقولشى الأرض انخسفت به . ولا نعرفوا له ريحة جُرّة . قال ايه اللى رماك على المرّ قال اللى أمرّ منه . دا برضوا لحم الواحدة عزيز عليها . بس حنعملوا ايه ؟ أهِى قسمة ونصيب . يارب توب علينا بقى يارب . ياخويا دى الواحدة طهقت م النيلة اللى احنا فيها . آه ياغلبى يامرارى .

كان صوتها عميقا ومشروخاً قليلا .

ـ عاديك ياخويا ، آل عين ما شافت قلب ما شال ، أنا فى عرضك ياخويا ، أبوس رجلك ، استر علىّ ، ما تسيبنيش . دى الدِرْوه حلوة .

كان فى صوتها الآن ، وفى نظرة عينيها المرفوعتين إلىّ ، قهرٌ كامل ، وطمع مفهوم ، ومبرَّر . وكانت محاجّتى لنفسى فى ذلك غير مجدية ، وأنانية أيضا . وكم ندمت بعد ذلك على أننى تركت لها الشكوى وضراعتها لم أسمعها .

اللبؤة أنثوية الجلسة تحت قدمّى ، شعرها الأكرت ملموم بشريط أزرق ، وعيناها مفترستان الآن ، المُولة طفليّة وأمّ الوجود ، وديعة خاضعة وكامنة الضراوة ، وحشيتها محسوسة ، ناعمة

ومطلوبة . وكانت ترضع الولد من ثدىٍ طريّ غير متهدل ، تضغط عليه بيد رفيقة ومثيرة . أعرفه لأننى رسمته بالفحم وبالزيت وبكل الألـوان ، داعبته وتحسسته ووزنته وعـركتـه بيـدى ، ولعقت بلله استطعمت حلاوته .

لا . لم أكن لأختار الخيال الخالص المصفّى من شَعَث اللحْم والدم . لم أكن لأريد الموسيقي البحتةَ . ما الموسيقى ؟ كنت أُوثـر حنانَ القلب ، وعنفَ شراسته .

كانت أمها راقدة على الأرض ، وكان الصغير ينام بين أمه وبين الجدار ، وكان السرير يحملنا الى محبات وشهوات لُجّية لا شـاطىء لها . وعرامة الصبا المحرِقة لا تخبو حتى فى حضور المحارم والجسْم سكران بوجدٍ غير عاقل . أما الرثاثة فقد كانت تتلاشى ، لا توجد ، لم تكن موجودة ، أصلاً ، أمام جمالٍ خاص ، وحرارةٍ مدمرة .

فى هذا الدنّ كانت خمر حنوها عتيقة ، وجديدة علىّ ، معاً . لاذعة الطعم وسلسة .

وكان حنوها معى ــ وطَمَعها ــ لا مقياس لهما .

كنت أطلب رقم التليفون ، ويأيتنى الرنين المتصل ، فى الليل ، من غير إجابة وكان اليأس يحيط بليلى ولكنى لا أنى أطلب الرقم ،

باصرار ، باستمرار . فجأة ردت عليّ امرأة ، كانت شجية الصوت وفيه بحة وخشونة أنثوية ، نافدة الصبر ، وسألتنى ، بالفرنسية : من أنا ، ماذا أريد ؟ لم أعرف أن أرد . لم أعرف . فسألت : ما الرقم الذى تطلب ؟ من أنت ؟ نسيت الرقم . حاولت أن أتذكر . لم أستطع أن أعرف . لم أردّ . سمعتها تقول بالفرنسية : ياإلهى . ياإلهى . ثم عاد الرنينُ الرنينُ المتصل . كأن لم يكن هناك قط رد . ولن يكون .

قلت أعطِ يدكَ من يثبّتك فى سقوطك ، ويُنجّيك من هُلْكك ، ويُخلّصك من أوهامك .

قلت : مَنْ ؟ يدى ممدودة .

قلت : هَتْكُ الأستار . مجانَبَةُ الأسرار .

قلت : ألهوى هُلْكٌ ووهْمٌ وسقوط ؟

لم أعرف إلا يوم الاثنين التالى .

قال لى إحسان مَرَادنِْى إن الاسعاف نقلتها يوم الجمعة الى المستشفى الميرى على النَفَس الأخير . قال إن وابور الجاز هبّ فيها ، وأمسكت بها النار ، وإن أمها لم تصرخ إلا بعد فوات أوان النجدة . قال هل تعرف أن لها ابناً صغيراً لا أحد يعرف ماذا يفعلون به ؟ وأن البوليس يبحث عن زوجها ، فى قضية آداب ، وأنه هارب من شهور ؟

سألته بلهفةٍ ، وشكٍ كيف عرف ، قال : هكذا ، بالصدفة ، كنت أمر عليها فى غرفتها فى رأس التين .

فلم أُعنَ بتحقيق حكايته .

كانت الغرفة الضيقة مشتعلةً بجسمها . كنت أعرف أنها هى التى أقدمت على النار .

كيف أمكن أنها طيَّبتْ للنار جسمَها ؟

كيف احتملت أن تخلع عنها ، نهائياً ، كلَّ أوصافها ؛ وكل لَبْسٍ فيها ؟

فوران السر من حرقةِ قَهْر أم من ضيقةِ مأزق ؟

قلت : أى ثقلٍ من الجريمة كان فى طاقتها أن تحمله ، عاقبت نفسها عليه . العقاب الأخير . كيف أقدمت عليه ؟ هذه القسوة التى لا تطاق ، الحرق والتشويه ، بلا رجعة . أَحَدُّ الانتقام الكامل من الذات ؟ تعذيبٌ طقوسِيٌّ لا تردد فيه ، تصميمٌ لا أفهم مدى صرامته ، والنار ترعى لحمها .

إدانةٌ لا تُنْقَض ولا تُرد .

لماذا ؟ لماذا ؟

السؤال قوته لا تُحتَمل .

١٩٨٩/٧/٢٩

مخلوقات مَلَكة عبد الملاك

« الحلم حقيقةٌ ممكنة »

كان طريق المعادى على النيل يبدو موحشا ، فى أول المساء .

النخل السامق الرشيق مائل على الرصيف وجدائل سَعَفه تنوس تحت جدران البيوت المغلقة ، دغلات الأشجار متكاتفة تحت سماءٍ عميقة الزرقة ، فيها بقية ضوء النهار ، وسحاب ينزلق ببطء .

أضواء النيون تنعكس من اجزاخانة وعيون مصابيح الطريق بيضاء مسدودة يقع نورها الذى لا يفيد أحداً على كشك سجاير وكتب ومجلات به لمبة جاز .

السيارات تنساب على الأسفلت وثيرة صامتة .

كانت الأصوات غير واضحة ولكنها مقلقة تتجاوب من بعيد ، والطيور الصُلبة تنتقل من شجرة إلى أخرى ، محددةٌ قاطعة الجسوم ، بلا صوت . وكانت سيقان النخل السلطانى وسيقان النساء ، بيضاء ، دافئة ، موحية .

أمامى النيل واسع ومنخفض وغامض .

رأيت الجـزيرة فى وسط المجـرى العـريض ، عليهـا أعشـاب وطحالب ملحية الشكل ، حولها المياه الساكنة مخضرة قليلاً . شُطوط الجزيرة المتعرجة تغرق وتطفو من بركة النيل الهادئة السطح .

تأتينى فجأة ، من بعيد ، طلقات المدافع ، دقاتها ضخمة مجوفة الرنين تقرع القلب ، تتلوها رَشّات متلاحقة من رصاص الآليـات الحادة . والسماء المغطاة الآن بغيامٍ رمـادىٍ ، تقطعهـا سطوعـاتٌ مُنْشعبة حمراء وخضـراء من قنابـل الاستكشاف الضـوئية الصـامتة الاشتعال ، تظل متوقدةً لحظات وتنطفىء ببطء .

كان يجرى على الطريق . جلبابه الأبيض القصير يضربـه هواء الجرى على منتصف ساقيه ، وقد شهر مسـدسه السميـك منطفىء اللون على امتداد ذراعه ، ولحيته طويلة قاتمة السواد هـائشة حـول وجهه الأبيض السمين . مـرَّ أمامى مبـاشرة ، رأيت أنـه قد حفَّ شاربَهَ . أثَرُ زرقة الحلاقة الوثيقة حول فمه .

سقط بوجهه على بُعد خطوات ، دون أدنى حركة أو صرخة ، على حشائش الرصيف التى كانت قد توحشت وطالت تحت شجرة التين البنغالى الجسيمة ، الهائلة .

كانت سيارة تاكسى واقفة وخالية تحت مظلةٍ واسعة منخفضة

مصنوعة من القش البنى الباهت ، والمحرك يدور ويئز بانتظام .

فى عتمة أول المساء رأيت هذه المخلوقات الشمعية ، مائلة على جنبها ، ثابتة الجوارح ، تطير تحت السحاب الذى بدأ يشف الآن من نور القمر المقطوع ، تحملها ريح خفيفة . ومن بينها فينوس ، حية ، صغيرة القد ، ينبض جسدها . شمعية التقاطيع وجهها أعرفه ، وأحبه ، كم لثمته ، كم سقطت عليه دموعى ، وقطرات مَنِيّ .

كانت بالضبط تشبه التمثال لكنها لدنة القوام . ضوءٌ كاوٍ ، كأنه برق الفلاش من كاميرا ضخمة غير مرئية ، وقع عليها وانثال على جانب وجهها ، وظل ساطعا . أحرق الضوء جانباً من شعرها المعقوص الملفوف بعناية ، وبدأ وجهها يذوب ، وقطرات الشمع الثقيلة تسقط بينما الريح ما زالت ترتفع بها بهدوء وفى عينيها نظرة غائبة .

طاحت تلك الإشارات . أفلتت من يدى .
بلبلةٌ لما كان قد سَكَن من طائر الأشواق .
هاجت الآن روحى . ما من مثابٍ أبداً لهذا القلق . لا تخبو حَدَمة نارِ النزوع ، بلا منال .
والحلم صامت . مكنون .

انقضّ علىّ . طائر داكن الخضرة كبير الجناحين ينزل إلىّ من

علٍ ، ريشه كريش ببغاء هائل ، أعرف أنه عاقل وأنه ناطق وأنه مُدركي . ولكن الخَرَس مقامه . ومقامي .

ثم لَبَد أمامي معلقاً من مخالبه القوية المسننة ومشبوحاً تحت الشجرة الضخمة ، مُدَلًّى بجانب الجذور الخشبية النازلة من بين حرشة الأغصان الأثيثة ، صُلبةٌ تتلوى حول بعضها بعضا لم تصل للأرض بعد ، وقويةٌ متينة العضل وصلت إلى التُّربة الأم ونفذت من الجثة البيضاء الراقدة على وجهها منذ زمان بعيد أعرف أنها دافئة ما تزال .

•

كان الطير الكبير قائماً فى نور القمر الذى تبّدد الآن وراء سحاب أبيض مقطوع ينزع لونه الى الرمادى الفاتح . وكان مقلوباً ورأسه ساقط إلى تحت كخفاش ضخم له منقار طويل معقوف الحافة ، حاد الطرف .

وكانت رئتاه متدلّيتيْن ، من صدره المفتوح ، بجانب جسمه الساكن ملموم الريش ، تنبضان ، لونها داكن وغشاؤهما لامع وأملس ، والقلب يضخ بينهما ، مكشوفا فى الهواء ، صغيرا بشكل لافت للنظر وغريب .

كان مستكنا ومتربصا فى وسط خضرة الأغصان المتراكبة المنبعجة المفاصل ، والأوراق الملساء الجرداء ، وكريّات الثمار الصغيرة الحمراء القرمزية المتورمة بعصارتها .

ورأيت أن منقاره يضرب بانتظام واصرار فى يد مَلكة عبد الملاك ، كفّها مفتوحة ومنبسطة. كأنه يأكل من يدها ، وهى تنظر إليه ، لا تضن بشئ .

كنت أعرف مَلَكة عبد الملاك ، من المطبعة .

كانت تحفظ أقراص الرصاص وهى مازالت ساخنة ذائبة تقريبا . حتى تجمد ، تضعها فى خزانة مفتوحة لها أرفف متقاطعة . الحروف البارزة ، المعكوسة على سبائك الرصاص فيها السجل الكامل لكل شئ ، كأنها اللوح المحفوظ . وكانت مَلَكة عبد الملاك ، دائما ، تحيط بها ، حيثما كانت ، بقايا رصاص المطبعة وشظياته الرفيعة المشطوفة بيضاء البطن ، وحولها شمع الفوتوتيب الملفوف فى اسطوانات كبيرة مسنودة الى حيطان المطبعة والى خزانة الأرفف الخشبية والى جوانب ماكينات اللينوتيب العملاقة ، المتحركة التروس والصفوف .

كانت بشرتها زيتية ناعمة ، وشعرها ، فى وسط تشابك المطبعة وازدحامها ، طويل وقوىٌ حالك السواد . وعندما تتكلم تحرك رأسها فيهتز شعرها كأنما تهب به أنفاس لافحة ، وينزل بكتله الناعمة على كتفيها ثم يرتفع ، له حفيف مسموع .

وكنت أذهب اليها كلما اضطررت الى البحث عن إعلانات قديمة ، أو بطاقات معلومات بائدة ، أو تفاصيل الاحتفالات بمناسبات منسية .

كانت مَلَكة عبد الملاك قمحية اللون وبضّة ، مليئة كالموج ، وجهها المدور كامل الاستدارة ودائم التقلب ، له أشكال متغيرة فى نور المطبعة الشحيح أو المتوهج .

ومع جسدها الطيع ، المنيع ، كان حنوها علىّ راسخا .

وكنت أرى صدرها قادراً وشامخا ، والثديين فى السوتيان المحبوك ، يعطيان حساً بالنضج الراضى المرتاح .

قالت لى : أنت المتقلب الذى تطير به الأهواء والأشياء . أما أنا ــ كما ترى ــ فإنى ثابتة . سوف تجدنى دائما . هنا .

وسوف تقول لى : أنا ، فى أى مكان ، فى أى وقت ، لك ، مِلكك . فهل يمكن أن تقول لى « تعالِى » ولا أجىء ؟

أين ملاكى الغَضوب شاهر السيف على مخلوقات الشوق .

أحسست الريح تشتد قليلا ، وضوء القمر يغلب السحاب .

رست ، أمامى مباشرة على الكورنيش ، آخر مركبٍ طالعة ، إما أن ألحق بها أو أن يضيع كل شىء .

نزلتُ بسرعة على سلالم مزدوجة متقابلة ، صاعدة وهابطة ، وشَيشُ الكهرباء مسموع وقوتها محسوسة ، وكان الناس كثيرين حولى والأنوار من سقف النفق متتابعة ومحددة ومجسمة ، وكان النفق يدخل بى ويغوص فى قلب صخر الجبل ، منيراً جدا ومدوراً ولا مع الجدران ، ثم وجدت أن السلالم المتحركة قد خرجت بى الى النيل ،

والنفق ما زال يغوص ، يشق الموج الذى أحسسته يرتطم بالجدران الناصعة المبلطة ، ارتطاماً هيّنا .

لكن المركب مازالت بعيدة ، ومهما جهدت فى الجرى صاعداً ونازلاً على الدرجات الحديديـة المضلّعة أجـد نفسى مازلت أراوح الخطو فى موقعى .

مشتاقٌ على الدوام ، منٍ غير أشواق .

حبى طلب دائم ، ومخافة انقطاع . بلا هوادة .

والقلب جزيرة محاصرة .

فرغت من الحنين الى الصبوات . فرغت من التبـرم شوق بارحْتُ أشجان الصبابة والحنان . بارَحْتُها .

دورة كاملة . أخرج من دَرَج النفق المتحرك لأجد نفسى مازلت تحت شجـرة التين البنغـالى ، فى متنـاول منقـار الـطائـر الأخضـر الضخم .

وقد اختفت مَلَكة عبد الملاك .

بادرتُ بأن أسلمت لطائِر المستحيل نفسى ، دون مطالبة ، دون لجج . وليس هذا كسى ولا دأبى .

مدّ إلىّ منقاره . وأخذنى . أطير معه . فى باطنى ، فى باطنه .

معراجى عَبْر عَصْفِ السماوات العُلَى .

حتى عشى بصرى الضوءُ الباهر الذى لا مثيل له . كانت قناديل

الزيت السماوى مشعة كوجوه الملائكة ، ولا حصر لها ، تملأ السماء والأرض وما بينهما ، ساطعةً من الأزل .

هكذا يأوي العاشق الى مابين قدمى العرش الوهاج .

احترق قلبى بالنور ، وكان جانبه الأيمن يسقط عنى ، مصهورا .

النور ظلمةٌ تكتنف الروح ، كاملة ، بلا رحمة .

وليس هناك الا مخلوقات الأشواق ، متجسمة ، تطير حوالىَّ ، تذوب وتتجدد بلا انقطاع ، تملأ الداخلَ والخارج ، وحدها .

١٩٨٩/٨/٤

بيت قديم

« الزمان خيالات مقطوعة »

مازلت أرانى أسير فى الصباح الباكر الساكن ، تحت سماء لؤلؤية ، الى البيت القديم .

أسير اليه ، وأنا أحمل فى داخلى شوقا مُمِضاً وعميقا ، وحِسّاً بانتماء لا ينفصم الى هذا البيت ، ولوعة لفقدانه .

أعرف أننى لن أسير إليه أبدا . لن أدخله مرة أخرى ، أبدا .

خطواتى ـ فى هدوء الحوش ، بعد أن أغلق خلفى باب الشارع الكبير ، تحت الجميزة العتيقة ـ لن تحدث .

أخطوها ، مع ذلك ، على الدوام ، من غير وصول .

أعبر عتبة الباب الرخامية ، حافتها الناعمة غاصت فى الأرض ، عليها نقوش كتابات هيروغيليفية كادت تمّحى ، ماثلة مع ذلك تستجلب البركة تستصرخ الذِكَر .

أعرف أنه على هذه العتبة الخفية مرّ من قبلى بيبى مارتان ومحمد

ناجى ، راغب عياد وكامل التلمسانى ، جورج حنين ورمسيس يونان ، موسكاتيلى وسَنَد بسطا ، كاترين سُرْسُق وبولا العلايلى ، وغيرهم ممن لا اسم لهم ، هؤلاء الذين عذبتهم أرواحهم وطوّحت بجسومهم النزوات والمعاشق ، ومفازع مجرد الوجود ، وأنه هنا حُسمت مصائر أو عُلّقت الى الأبد دون قرار ، رُسمت أقدار وتجسدت شطحات شِعْر هذا البلد .

لكن الحوش كان دائما خاليا ، من غير وحشة ، مكنوناً داخل الحيطان السميكة السامقة ، بأحجارها التى تضرب الى الرمادى الفاتح ، لون قديم ، نظيف . تظلله أشجار كافور وجزورينا عفية وارفة ، تنفى عنه فجأة كل ضجة القاهرة ، وتضفى عليه سكوناً ، وسلاماً لم أجده فى أى مكان آخر ، ربما لأنه كان يَعِدُنى لمحبة ، ورضى ، لم أجدهما فى أى مكان آخر .

أحجار السلالم العالية الدرجات ، محصورة بين حائطين فى بئر السلم الضيقة ، تبشّرنى ، كأننى أسمع من ورائها طنين حياة مليئة بالقوة والوعود .

وعندما ينفتح الباب المحكم الوثاق ، أخيرا ، تهب علىّ أنفاس البيت الهادىء حميمةً وصافية .

ما زال أعز مواقعى .

اعود اليه ــ واليها ــ بلا انقطاع . وكأنها لم تبارحه قط ، ولم أبارحها . كل الدارما ، كل الحب ، كل النشوات ، كل سكرات الجسد وكل أمجاد الروح ، مازالت ، كلها ، فعّالة .

ناداني قلبي إليكِ ، لبّيته لما ناداني . . .

وهل تصورتِ لحظة أنه قد يمر يوم من غير اهتزاز الحنين ، والحنان ؟

أي يوم ؟

نداء البيت القديم ، نداء القلب القديم .

في القاعة الوسطانية الفسيحة ، حجر حيطانها ما زال ببياض لحمه المَبْرِيّ ، دون طلاء ، ودون ملاط ، أرى لوحات السجاجيد المعلقة على الحائط ، منسوجةً بالخط الفارسي والكوفي ، تنطق بأشعار الحب والآيات ، تهزها نسمات غير محسوسة فتنوس برفق على جسم الحيطان . الفوانيس العربي النحاس يتقطر منها ضوء المصابيح الكهربائية الصغيرة بيضاء الشموع عبر ألواح الزجاج الأصفر السداسية الشكل . يسيل هذا الضوء بمياهه الساجية ما زالت حتى الآن دافئة مثيرة تجعلني أنتصب فجأة ، أنزل معها الى السجاجيد العميقة الوَبَرة المفروشة على بلاطات الرخام ، طالما صنعنا الحب

فيها ، وتقلبنا فى قبضة جنونه وعربدة سكراته ، بينما نافذة المشربية العريضة تعطينا جمال العالم ، ونوره ، وتحجب ضراوته .

قلت : لا شىء ، لا الزمن ، لا النسيان ، لا الجسم الذى يناله الوهن بقادرٍ على أن يأخذ ذلك الذى حدث . انه باق ، أبدا .

قالت : ياليت ! هذا مجرد تقرير رومانسى . الزمن يمحو كل شىء كيف نصون حبنا من سطوة الزمن .

قلت : أبداً لن يمضى . ليس فقط لأنه موضع إعزازٍ خاص ، بل لأنه يقوم فى الروح ، باستمرار ، من جديد .

قالت : كم من أشياء تحدث ، ثم تؤخذ فى قبضة الانتزاع ، تذهب كأنها لم تحدث قط . فلماذا يستعصى ذلك وحده على المضىِّ ، والغيبة .

قلت : لأنه ـــ مهما تقطعت أمشاجه ـــ يَحيا دائما من جديد . ويُحيى دائما من جديد .

فتحتُ البــاب بمفــاتيحهــا ، ودخلت . أحسست الـبيت مستوحشا ، وكانت ظلمته فادحة . قلت : « لا بأس . سوف تعود بعد قليل » . كنت فى المدخل الذى أعرف أنـه يفتح عـلى القاعـة الـوسطانيـة ، ويفضى من اليسـار الى غـرفة النـوم . الأنوار فجـأة

لا تضىء . حس الوحشة يعضّ قلبى ، موجعاً ، لا يبرأ ، أبحث عن أزرار النور ، لا أجدها ، لا أجد شيئا . كل شىء ينكـرنى . أسير خطوتين ، لاأرى امامى ، ذراعى ممدودتان ، ومع أن الظلمة مطبقة أغمض عينى ، كأننى بإرادتى أنفى الظلمة . أين أزرار النور ؟ هل هى فاسدة نالها العطب ، ثمـار عطنـة تحللت وسقطت ؟ أين هى ؟

أحس نفسى أشهق ، وقعت يدى أخيراً على زر النور الذى يشبه اسطوانةً صغيرة جدا من النوع القديم الذى تضغطه الى الداخل . النور فى الفوانيس الكبيرة يشتعل ، على غير انتظار ، يعطى بصيصا ضئيلا مُصْفَرّاً ، يهتز ، ويخفت ثم ينطفىء نهائيا بصوتٍ كـأن فيه صدمة خبطة واحدة أخيرة .

أجد الهواء يندفع إلىّ ، من أين ؟ من النافذة ، من الباب ، من السقف ؟ لا أعرف . الجاكته تهتز ، تتطوح حولى ، وتـرتفع تحت هبوب الهواء المتضارب التيارات ، كأنما بفعل أيدٍ غير ملموسة . هُنا قوى حية ، وغاضبة ، قد خلت لها الساحة ، حضورها لا يُـرَدّ ، وعملها لا يُفضّ ، ولفْح أنفاسها فيه نيّة غير معروفة .

أرى فى الظلمة المتقلبة حولى شيئاً أبيض ، غريباً ، أحسه أثقل

قليلا من الضباب وأخف قواما من سحابة ، بارد الملمس ، ينحنى علىّ ، ويَلُفّنِى .

أنادى بكل طاقاتى . كأنما ندائى ترتجُ له السماء والأرض .

لا يندُّ عنى صوت .

شفتاكِ . شفتاكِ فى الزمن الآخر ، تبدآن باردتين رطبتين ، ملمسهما مُنعش وطرى . ثم ينالهما ــ معى ــ هوس العشق . فيهما ، تحت شفتىّ ، كلُّ حياتهما الخاصة ، كل حياتهما المستقلة ، كل التنزى والتقلبّ كل الحب كل المَوج والتلمس ، كل التلاصق رقيقاً وملهوفاً ريانا وجوّاسا ، وادِعا ومعابِثا ، شرسا وراضيا وناعما ، مستفزا داعيا ومستسلما .

لماذا ياحبيبتى لم أعرف هذه الحياة وتلك الحرارة فى شفتيك ، عند حلول الزمن الأخير ؟

بينما أنت فى حضنى قد اختُزل الكونُ فيك ، والزمان .

رسالة شوقٍ فى زجاجةٍ مختومة مرمىٍّ بها فى اليَمّ ، هل ترتفع بها الأمواج وتنخفض بلا انتهاء ، غير مفضوضة ، لا تعود ، أبدا ، بردّ ؟

وكالمعتاد تظل الأشواق صَمُوتا . من جانب أو من آخر ؟

كلُّ الكلام أبداً بدون كلمات .

جسم البيت القـديم جسم الحب القـديم يحيط بى من كـل جانب ، وعيون الحب النجلاء تهاجمنى وتطعنني لا تطرف لا تتوقف .

كان رخام جسدك الخَمْرِىّ الحار ، فى سمرة الغروب ، معجوناً بالحب والألم الذى لا يريم . جماله قهرىٌّ شامخ ، وما أطوعـه بين ذراعى ، ما أنعم لدونته .

قلت لى : وقائع الحيـاة ليست فى شِعرهـا . الشعر فى النهـاية لا يقين فيه . ولا اطمئنان له .

بصوتك المدرَّب المتقَن ، وثيراً سلسا ومشحونـاً بطاقـة جنسية سيالة .

قلتُ لك : هو كـل اليقين . مـادامت الحياة ـ كـل الحياة ـ سؤالاً ليس له من مجيب .

وأنا على مشارف الحافة ، فى صباح النهاية الذى لا يَحُول نُوره الغريب ، ما زلت أقول : لماذا سار كل شىء على هذا النحو ؟ لماذا ؟

مـازلت أريدك . وحـدك أريـدك . فى الشعـر ليس فى ركـام الوقائع . كأن الشعر هو الواقع الوحيد عندى . فهل استئثارى بك فيه ، أنانية ، ولَجج الطفولة ؟ أم هو بذل نهائى لايمكن أن ينتَقِض ولا أن يَنْقَضّ . مازال الحب يفيض من قلبى ، كالنـزيف . أيظل

يسقط على تراب هذه العتبة المدفونـة فى الأرض ؟ أين زهرة الـدم الحمراء وحشية الحمرة المتوقدة بالشوق ؟

كانت القبة الضخمة أمامنا ، ماثلةً عبر المشربية ، اسودت بفعل الزمن ، تدور بها كتابات بارزة من الحجر لا نعرف كيف نقرأهـا ، بيننا وبينها سطوح بيوت القاهرة القديمة متراكبة متمايلة ، تقطعها فتحات المناور المسقوفة بزجاج مترب ، رُكنتْ فيها عِمْـدان خشب بالية وصفائح صدئة وبقايا دراجـات وصناديق وكـراتين وأقفـاص وقفف منبعجة بالكراكيب ، كل مهمـلات الحياة جففتهـا الشمس وصوّحتها ونظفتها من كل لحمها وسوراته ، أعشاش الحمام الخشبية يصدر عنها هذا الهديل العميق ، حزنه رتيب ممل ، مستمراً وعنيدا لا يسلّم بنهاية أى شىء .

كان هذا يقينى .

قلتُ : من بين المفازع الكثيرة التى يغصّ بها العمر المضطرب ـ على الرغم مما يبدو على سطحه من رتابة وتمكُّن ـ يأخذنى رعبٌ أننى لن ألتقى بكِ مرة أخرى ، أبدا .

قالت : حسب الشائع المشهور نحن لا نلتقى مـرتين أبـدا . العودة حلم مستحيل بطبيعته . كـل لقاء نسيـج وحده لـه طعمه الخاص ، حلوا أو مرا ، وله مقوماته وحده .

قلت : لا ، هـذا الرعب يقـول لى : « لا ، ليس هذا . لن تلتقى بها أبدا ، بالفعل . أبداً بعد » . وعندئذ يُفقـدنى الهلع كل صواب . وأريد أن أصرخ بأعلى صوتى : لا . لا . لآهْ .

قالت : اسم الله عليك من الرعب والهلع . اذا أردت أن تصرخ اصرخ ياحبيبى ، لكن ليس من الرعب والهلع .

فضحكتُ من نفسى ، على نفسى ، كالمعتاد .

قلت : ومن المفازع القديمة الأخرى أنكِ لم تعودى تعرفيننى ، لم تعرفينى قط . ولا يهمك هذا على أى حال .

قالت : وهْمُ التثبيت . وهْم العودة الدائمة . لابد أن تكسر الدائرة .

قلت : ومن ثم أعود الى كلمةٍ قديمة لك ــ هل قلتِ لك إننى الآن أكنزها وأُحرِّزُها ، هذه الكلمات ــ الماسات التى لكِ ، لأنها وهّاجة وقاطعة معا ؟ ــ عندما قلتِ لى : « إننى أحبك . سأظل دائما أحبك » اما أنا فليست بضاعتى كلها الا كلمات .

قـالت : أنت طالمـا . . . . طالمـا رددت حتى حد الهـوس إن الكلمات لا تعنى شيئاً وحدها ، أنا أيضا قلت هذا كثيرا . لكنه غير حقيقى .

قلت : أحقٌ اننى لم أُقدِّم اليك الا شعرا ؟

قالت : وهل الشعر قليل ؟

قلت : أما أنتِ فقد وهبتني سطوع المجد ، ورهبته . وقْدةَ الحب الذى لا يطاق ، وسَوْرته . مازلت أتوجس حتى من الاقتراب بالذكرى من نور هذا المجد ، لأننى أعرف أنه لا يُطاق .

كيف احتملت فى البيت القديم عبء كل تلك السعادة ؟

وكيف أستمرُ فى احتماله ؟

ما جدوى الكلمات ما جدوى الكلمات ما جدوى الكلمات أريدك فى حضنى أريد أن أعرف حبك أريد أن أعود إليه أريد أن أبدأه من جديد كما لم يبدأ قط أريد جسدَ الموسيقى لحمَها الملء لا صداها ولا ظلها البعيد .

قلتُ : سوف يأتى الصمت وشيكا . قريبا جدا .

سوف ينقضى زمان الكلام .

كنت أهمّ بأن آوى الى سريرنا الفسيح ، تحت لوحة النسيج الكثيف الذى يصيح فيها الديك الأحمر الخيوط ، مشتعلاً ، يفتح منقاره الكبير رافعاً رأسه بلا صوت ، لا يعطى نفسه راحة . كانت قد سبقتْنى . كنت أعرف أنها نَضَت الآن فستانها الأحمر الحرير المنقوش بالأبيض ، وأنها تخلع السوتيان البيج الصغير الذى يفيض ثدياها على جوانبه ، بشريطه المطاطى اللدن الذى يحبك ظهرها

البديع المكين ، جسمها السامق اللين المطواع حُرٌّ الآن ، صدمة جماله عندى ، فى كل مرة ، جديدة تخطف أنفاسى .

رأيت فجأة أن القرد المقدس يقف على باب الغرفة المفتوح ، يحجبه ويسده ، كان فى جسمه المجعَّد لمعان الجرانيت الأسود ، جلده الداكن متغضن الطيات ، وشعره الكثيف يرسل شررا كهربيا تقشعر له روحى .

وكانت حول عنقه ، ووسطه ، عقودٌ من الفضة وحبات الفيروز ، لها صليل على جسمه الصلب .

كان غير انسانى ، غير عاقل . وقريبا جداً منى أعرفه تماما ، ويرانى . مدّ يديه وأطبق على عنقى .

١٩٨٩/٨/٥

عَ المسرح

« الأقْنعة غَواياتُ الحقيقة »

كان ميدان الأوبرا ليلتها بهيجا .

عناقيد المصابيح الكهربية ناضجة بعصارة بيضاء مشعة ، وسعف النخل السلطانى يهمس فى نسمة المساء ، وتمثال ابراهيم باشا يومض جسمه البرونزى فى كبرياء .

دخلت وحدى .

السلالم الرخامية والباب الحديدى عريقة تلمع . والسجاجيد الحمراء تمتص الأصوات . وجدت أن اللوج المنخفض الذى يطل على خشبة المسرح مباشرة مازال خاليا . كان مقعدى وثيرا ومغريا بالراحة . استندت الى سياج الشرفة المُبَطَّنَة العميقة اللون . وقلتَ : « لماذا لم يأتوا ؟ أوشك الميعاد أن يجىء . » ثم كأننى نسيتهم تماما .

كان طنين الكلام وحركة الأقدام واللغط الهادىء يصعد إلىّ من

القاعة المثورة بحبات النور المدورة ، وكانت حمرة القطيفة المكتومة توحى ببذخ مكتوم .

الدقات الثلاث ، خفتت الأضواء وسقط اللغط والطنين رويدا .

جاء الى مقدمة الخشبة ، من أمام الستار ، رجل ثقيل الخطو ، قصير ، مدموك البنيان ، وفى يده ورقة . سمعت جارى يهمس بصوت واضح : « محمد بك صبرى المدير »

وقف مدير الدار أمام عمود الميكروفون بقرصه المضلَّع الكبير ، انتبهتُ الآن فقط إلى أنه كان هناك ، منذ البداية . وقال : سيداتى وسادتى . يؤسفنى جد الأسف أن أُنهى إليكم .. أن أقول .. أعلن .. عندى نبأ أليم ..

انفتحت الستارة الثقيلة المُذَهَّبَةُ التطريز بصوتٍ خفيفٍ معدنى مسموع .

ولكن المسرح خاوٍ . ديكور غرفة الاستقبال الأوربية التقليدية من القرن الماضى ، يبدو موحشا ، خافت الأضواء .
وعندئذ رأيتهن . كل الممثلاتِ . يقفن صفاً واحدا فى الأمام ، وخلفهن الممثلون ، فى الصف الثانى .

ملابس التمثيل النسائية الضخمة الوَقور ، قديمة الطراز ، تبدو

عليهن جد قشيبة لم تلبس من قبل ، الفساتين الملونة ، زرقاء وخضراء وموف ، لامعة وثقيلة ومنتفشة ومليئة بالكشكشة والتوشية ، راسخة الشكل ، والبدل الرجالى ذات الياقات المفلطحة العريضة والفتحات الضيقة والأزرار الكثيرة .

كانوا صامتين ، جادين فى وقفتهم ، دون حركة .

نزل على القاعة كلها صمت الترقب .

خرجتْ من بينهم ، طويلة ، قوية الحضور . وتقدمت إلى الميكروفون ، فكأن المدير قد اختفى ، مع أنه ، فقط ، تراجع خطوة واحدة إلى الوراء .

طاف بذهنى أنها ما زالت تحتفظ بهالةٍ من مجدِ مسرح العشرينات ، عندما كانت معبودة الطلبة ، فكُّوا لجام جوز الخيل من عربتها الحنطور الملاكى وجروا العربة بأذرعهم المتكاتفة ثم تسابقت حشودهم إلى حمل العربة حملا ، من بيتها فى شارع فؤاد الى المسرح فى عماد الدين .

سارة برنار الشرق ، النسر الصغير ، هاملت ، كليوباترا شجرة الدر ، ديدمونة بلقيس ، ملكة سبأ ، جوليت وليلى زبيدة البرمكية ، زيزى هانم وليلى بنت الفقراء ، معاً ، كم من أقنعةٍ حيةٍ . . كَمْ من حيوات . .

وقفتُ مروَّعا ، كنت قد صرخت دون أن أعى تماما ما أفعل ، ارتفعت بعض الأنظار اليّ من تحت ، اتجه إليّ اثنان من شرطة المطافىء الذين كانوا على جانبى خشبة المسرح ، كأنما ليمنعانى من الحركة .

وقَفت صامتة لحظة .

وقالت : سيداتى ، سادتى .

كان صوتها يرتعش ، محملاً بشحنة هزت القلوب ، وكأنما انتفض شرر النار غير المرئى فى جو القاعة كلها .

ثم كأنما استجمعت نفسها المشتتة بجهدٍ جهيد ، وهى تقول :

ـ سيداتى ، سادتى . . انه ليحزننى وأنا أقف بين أيديكم على هذا الهيكل المقدس ، أن أنعى اليكم سقوط وردة المسرح اليانعة ، نجمة الفن الساطعة ، ممثلتنا الباهرة . . الزاهرة . .

تكسر صوتها مرة أخرى وهى تنطق اسمها .

قالت كأنها تستجمع آخر ما فى وسعها من تشدّد :

ـ سقطت من بيننا منذ قليل ، استدعينا لها نُطس الأطباء ، ورفعنا أيدينا الى السماء . نقلناها فورا فى كَنَف الأطباء . ولكن . . لكن أمر الله نفذ . . وفقدناها . . يرحمها الله .

ثم اجهشت بالبكاء الصريح الذى كان له الآن صدى غريب فى القاعة الصامتة .

كانت القاعدة قد شهقت ، كأنما من غير وعى ، عند سماع الاسم .

الآن هب الناس واقفين ، انفجر النشيج والبكاء وصرخات نسوية قصيرة ثاقبة ، أضيئت الأنوار كاملة وانفتحت كل أبواب الخروج .

نظرت عَرَضاً إلى جانب الكواليس القريب منى ، الأعمدة الرومانية المتقنة الصنع معمولة من الخشب الخفيف ، أقواس النصر عتيقة الحجر ، من الأبلاكاش ، فازات هائلة خضراء خزفية اللمعان ، من الكرتون ، غابات السرو والبلوط شاسعة حتى الأفق البعيد الذى تغرق فيه شمس متوهجة الحمرة على لوحة متربة ، كراسى لويس الرابع عشر مكومة فوق بعضها بعضا ، الموائد الرخامية السوداء ، اسوار البيوت الريفية من الشجر القصير المجذوذ تحيط بجناين مونقة بالتيوليب والبنفسج ، الجبانات الممتدة فى ساحات الكنائس القوطية ، الكوبرى على الترعة الصغيرة أمام القهوة الفلاحى ، المآذن السامقة وجدران الجوامع المخططة بالأصفر والبنى القاتم ، السلالم الضخمة عريضة الدورات تصعد الى شرفات داخلية مسورة بحديد مشغول ترتمى عليه خصل الزهور ، فناء محطة مصر ، وتماثيل عريقة ملقاة على وجوهها مكسورة الأنف،المنصات

والبراتيكابلات الخشبية ، فوانيس الغاز مضيئة أبداً في شوارع مبللة بالمطر ، بَكَرات ضخمة من حبال متورمة الفتيل وسلالم نقالي شاهقة وكابلات متدلية وسميكة منذرة بالخطر ، والأنوار الصفراء تتخايل بين هذه الركامات ، تخبو وتشتعل بضعف من جديد في ممرات ضيقة يهب الهواء فجأة على القماش المرسوم والورق المقوى فتهتز الأعمدة والغابات والبنايات بخفة ويترقرق نسيجها . صعدت إليّ رائحة تراب الكواليس .

وهي ، وحدها ، واقفة هناك .

كانت تحدق إليّ ، وكأنها لا تراني .

أعرف أنها ميتة ، وان حبي لا يموت .

لم يكن أحد يراها هناك . لم يسمع أحد صرختي . هل ناديتها ؟

وكأنما ارتسم على شفتيها ظل ابتسامة .

وعرفت أنها تتألم ألما عميقا لا برء منه . لا لنفسها ، بل لي ، وربما لنا كلنا .

قلت : ما الذى يدعو اليك هذا الألم ؟

قالت : لا شيء . ربما نزعة حارقة ، هكذا ، الى أن أقول .

قلت : لماذا الألم ؟

قالت : أزمة معقودة في النفس . ترمضني . الكبرياء تحول بينها وبيني ، هل لأن حريتي الوحيدة هنا ؟

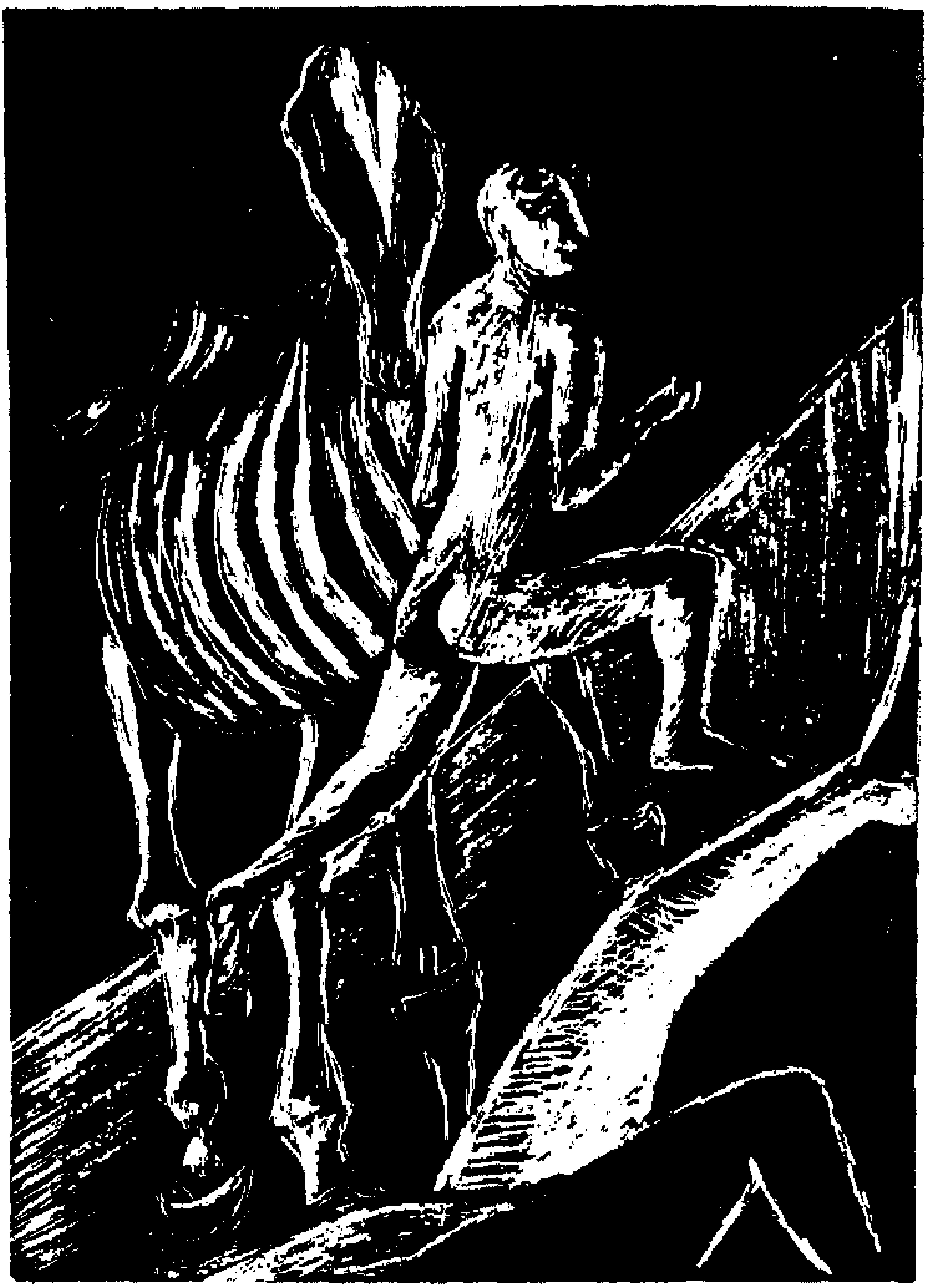

قلت : أما من خلاص آخر . . ؟

قالت : امتناع كامل للوصال .

قلت : أحتم أن ينوء بالواحد كلُّ هذا الثقل ؟

قالت : هذه ساحة موحشة . ليس فيها أحد .

قلت : ولا موكب المحتفلين . ولا المريمات الثلاث ؟

قالت : ولا جنود التعذيب ، بالسيوف والرماح .

قلت : ليس من أجلك . بل من أجلهم .

قالت : ليسوا هناك .

ثم قالت : ومن أجلك أيضا . فهل عرفت ؟

قلت : مريرٌ حمل هذه الأثقال فى داخلى ، أنا أيضا . وما من طريق .

قالت : وكأننى لم أقل . لا أحد سمعنى . كل ما فعلت كأنه لم يكن .

ثم قالت : لا يريدون منى ما أعطيه لهم . أقدم لهم أشواقى وهتفاتى ، صيحات حبٍ وعذابات ، جذاذات الروح . مامن أحد يصغى . لا يريدون . لا يريدون .

قلت أنا : واحدٌ هو الكل . اسمعك أنا ياحبيبتى . اريدك أنا . ولو واحد فقط .

قالت : مازالت ساحة الجلجثة موحشة . وحيدة .

قلت : الأقنعة غوايات مقيمة .

قالت : دموعى لكم . أنتم لا ترون .

قلت لنفسى : النور ظلمة كاملة . طبعا . ماذا كنت تنتظر ؟

قالت لى : كانت قرية أمى فى الشرقية مرمية على أرض كأنها سحاب مربد منذِر بالمطر الوبيل ، وعندما تمطر الدنيا فعلاً تتحول طرقاتها الى أوحال عميقة الطين . وتترك البهائم حفرا غائرة متتالية فى الأرض المعجونة بالبلل .

سوف أقول : ستأتى لهم كهرباء السد ، والتليفزيون ، وأفلام البورنو فى الفيديو ، وفراخ الجمعية ، والعيش المدعوم أبو عشر قروش .

قالت : الطقوس اليومية كانت محور حياتهم . النوم على الفرن شتاء وعلى المصطبة صيفا ، مضاجعة النسوان ليلة الجمعة المفترجة وكل ليلة أخرى عند فرج الله ، عناق الأرض بالفأس والمحراث ، الصلاة فى الجامع ،الجوزة وطقّ الحَنَك على القهوة ونَتْف فروة الرايح والجاىّ ، كتابة العرضحال والشكوى الغُفل من الامضاء ، أكلة البِتّاوْ بالمش والجُعْضيض كل يوم ، والزَفَر أيام المواسم والأعياد . زيارة الموالد والتبرك بالقديسين وأولياءالله الصالحين وطلب الشفاعة من الامام الشافعى والسيدة زينب وكل أعضاء المحكمة الباطنية

ببركة الرسول ، السيجة والتحطيب ، طقوسية عريقة متحدرة من غورٍ بعيد ، مأخوذة إلى القلب دون تفكير وليست شكلية -.

ثم قالت : والقبح اليومى كان قناعا . وفيه شعر أوّليٌّ وعميق .

قلت : مامن شىء يغفر القبح والمرض والظلم . ولا الشعر .

وسوف أقول : ماذا حدث لنا ولهم ؟ خمت مصر برائحة النفط وفلوس الخليج . خمت بموتانا ، هات الرفش والمعول . سقطوا تحت سطوة الاليكترونات . لكنهم يظلون يقولون : يرزق الهاجع والناجع والنايم على صماخ وِدانه .

كانت البروجتكورات الضخمة تلقى بأضوائها الساطعة فتنعكس من على خشبة المسرح وتنفذ من بين أستار الكواليس الجانبية تلقى خطوطاً عريضة حالكة السواد كأنها قضبان حديدية غليظة نائمة على الأرض ، وخطوطاً ناصعة النور تعشى البصر فى العتمة الجانبية . وكانت البقعة الدائرية الرأسية من النور تنصب عليها .

تبدو صغيرة القد لكن بضة ، مليئة ، سيالة الجوارح فى وسط ساحة المسرح ، وجهها مشرق وسعيد .

فى صوتها وإيماءاتها هذه الحرية ، هذا التبذل ، عطاء الجسد للجمهور طواعيةً دون ضن .

وكأنها لا ترتدى ، أصلا ، تلك الملابس المقطوعة المسدلة بمكر وحذق على جسمها المتحرك الذى يبدو كأنه يعـود إلى براءةٍ حسيـة بدائية فلم يعد بحاجة الى غطاء أو عراء مثل الأجسام الوحشية تجوس وتتربص بصيدها الطبيعى فى عنصرها الطبيعى .

قلت : أيها القناع ؟

قلت : أليس الحق كامناً فى القناع ؟ ماذا تقول المرآة ؟

من يقول إن هذه التى تنطلق عن سجيةٍ عميقة فيها ليست الا قناعا ؟ من يقول إنها لا تمشى ، هنا والآن ، حقاً ، على برّ هواها .

قالت لى : كان يريدنى أن أكون له ، فى غرفة النوم ، كما أنا ، لكم جميعاً ، على خشبـة المسرح . ذلـك مستحيل . تمـاماً . مـاذا باستطاعتى أن أفعل ؟

قلت لها : من أنتِ ؟

كان ينتظرها على الباب ، شاحب الوجه ،غضويا ، لـه فك مضلع وشارب كثيف على طريقة ستالين . وانطلقت تجرى إليه من على الباب ، كان ينظر اليها بعبوس ، دخل معها العربة الفولكس واجن القـديمة ذات الـرفرف المكسـور . مضت السيارة الى نـاحية كوبرى أبو العلا .

كان الخواء كاملا . الحلم قد أُفرِغ فجأة من كل محتواه . ليس فيه ولا صورة واحدة . بل ظلامٌ يهب فيه هواء غريب . ١٩٨٩/٨/٨

علـى جسـر ممـدود

« يقينُ الجسد موتٌ أول »

كانت مياه النافورة فى وسط ميدان العتبة تومض وتُشع بالليل وهى تنبثق ثم تتساقط ، زهرة مائية كبيرة تتفتت نِثارا .

نقيق الضفادع يصعد إلىَّ من حول النافورة ، عنيدا ملىء الحَلْق . رأيتهن على أطراف الرخام المبلول ، خُضراً مرقَّطة ومُنتفخة بملاسةٍ داكنة . .

كانت هادئة وواثقة .

التراموايات تدور حول الفسقية تصر ، بعجلاتها الحديدية صريرا يكشط الروح ، ثم تنشعب ــ وهى تتأرجح ، غاصةً بالناس ــ إلى مقاصدها ، أو متاهاتها . تصعد شارع محمد على أو الفجالة أو فؤاد أو شارع الجيش ، بعضها يدخل من بوابات تتسع لها بالكاد ، ومن بنايات كأقواس النصر مخططة بالأصفر والبنى ، وتنفذ الى جوف العمارات التى تقع فيها لوكاندة البرلمان ومبنى البوستة وقهوة متاتيا ، وتمضى هى تصلصل بين الأعمدة المربعة المتينة الحجر

إلى عتمةٍ داخلية مُخايلة ، ويأتى غيرها يدور حول النافورة ، أرقامها الأفرنجية والعربية ، بالأبيض على أرضية زرقاء ، غامضة لا تقرأ فى أنوار الميدان الخافتة ، وأقول هذا إهمال من المسئولين يجب أن يُصحَّح ، وعصىْ السنجة الطويلة المائلة الى الخلف تطلق شررا صغيرا فى احتكاكها بالكابلات الكهربية العلوية المتراخية فى الوسط والمشدودة عند أعمدتها الرفيعة الطويلة ، والسائق يضغط على الجرس النحاسى الذى يجلجلُ برنينٍ معدنى متعاقب متراوح النغمات .

عدت إلى المقصورة التى تلى مقصورة الحريم ، مباشرة ، وكانت مفتوحة من الجانبين .

كن يجلسن ، بالفساتين المشجرة أو الساتان المكشكشة ، المعمولة فى البيت ، والملايات السوداء النازلة من على الكتفين ، وقمطة المدورة المحزّقة على الجبين . أجسامهن حافلة مرتاحة الأعضاء على خشب المقاعد المتقابلة .

دار الترام حول الفسقية التى يترجرج فيها الماء عند الحافة الدائرية الرخام ، من أثر سقوط نثار النافورة الدقيق ، ويصفو ويروق فى الوسط .

السمك محتشد متراكب فى الماء الضحل ، مكدس فوق بعضه

بعضا ، بطىء الحركة ، سمينا وممشوقا ، شهىّ الشكل ، وفكرت أنه يمكن أن يؤكل ، هكذا ، نيئا وبريئا ، لأنه متاح وسهل وجاهز ، ثمار البحر ثمار الأهواء العميقة .

سقط عليه ضوء مركز ساطع كـالبرق ، لحـظة واحدة ، عنـد دوران الترام .

جلد القَرْموط الأسود الدامس ، لا معا وزلقا وشواربه كالفسائل متوترة تجوس ، عظام رأسه مفلطحة تبدو صلبة عنيدة المكسر .

والثعابين النيلية تنسل وتنساب بنعومة خارقة من بين جسـوم السمك الأخرى ، وتحتها وفوقها ، تلتف حولها وتنثال منها ، دهنية الملمس ، جياشة بطاقتها الداخلية المتلوية ، فى قوتها تصميم وعزم على التلمس والبحث المستمر .

البُلْطى المنتفخ الصدر بلحم النيـل ، أبيض الزعـانف ، لبنىّ الزرقة ، غضّ ، فلوس قشره البيضاوية المتراكبة مُنمنمةٌ واضحة وحادة الحواف .

البـورى والمِياس والقـاروص ، بحمرتـه الخـافتـة الخجـول ، بخطوطه العريضة اللامعة ، داكن الظهر فاتح البـطون ، حلقات عيونه الصافية الزجاجية فيها ادراك يتجاوز كل شىء ، والخياشيم

حمراء ترتعش بحساسية مرهفة ، مكومة فوق بعضها بعضا ، تنزلق وتتماس فى سباحتها اللا نهائية محصورة المدى .

وسمك موسى رقيق الجسم ، مبطط ، عروقه البيضاء ، خيوطاً لبنية اللون ، تضرب فى شفافيته النقية .

وزعانف السردين تنتصب وتطش الماء بارتطامٍ لزج فى اندفاعاته واصطداماته ووثباته القصيرة على مسطح العُمق الضحل ، وغوصه بعنف ، رأسه أولاً ، يشق طريقه تحت الكتل المتحركة ببطء أو الساكنة تطفو مُسْتَكِنّة على فراشها المائى الكثيف ، جسمانيّتها مطلقة وجمالها كامل .

ثم أكمل الترام دورته .

من وراء الحاجز الخشبى الذى يفصل بين المقصورتين ولكنه لا يصل الى سقف الترام أحسست أُلفة الاجسام النسوية التى تأتى على الفور بين الستات البلدى ، وسقوط الكلفة بينهن فى الأماكن العامة .

كان الصوت يتموج مبطنا بشهويةٍ دسمة :

ــ يادى النِيلة على رِجّالة الزمن ده ياختى عاديك . دلوقتى ياحسرة ، اللى يتجوز واحدة عايزها تصرف عليه وعلى أهله كمان .

كان زمان الواحد يعرف مقام الستّ ، ويعرف يهنّيها . دلوقتي حتى أولاد الذوات شحتوا عاديك . ووْلاد البلد قال إيه قال عايزين يعملوا ذوات ، والستات هي اللي تشتغل ياحسرة .

رد عليها صوت تبدو صاحبته في أول الشباب ، لكنه منذ الآن صوت امرأةٍ تحققت نِسْويتُها وأُحبطت أيضا :

ــ يُو . . والنبي عندك حق ياختي عَدّاكِ الغلط والعيبة . قال ما عيبة الا العيبة . دا الجدع دْلوقتي ياخد مراته يأكّلها سندوتش ويركّبها الترامواي اسم الله على مقامك وقال ياماهنا ياما هناك . زمان كان الراجل ياخد مراته عند الماوردي ولاّ سمعان تقطع قماش من الغالي زيّ ماهي عايزة ويودّيها عند الحاتي ، ولاّ الحاج على السماك ، ويأكّلها أكلة معتبرة . دلوقتي الجدع من دول يخاف يمشي معاها على كوبري الست بديعة لحسن نفسها تروح لقزازة كازوزة .

ويعود الصوت الدسم الرخِيّ الشبعان .

ــ ياختي قطيعة تقطع الرِجّالة وسنين الرِجّالة .

وواضحٌ مع ذلك أنه ليس عندها أحلى ولا أشهى من الرجّالة ، وسنينهم .

خدعني الكمساري وأعطاني تذكرتين بتلاته تعريفه بدلاً من حقي : تذكرة بقرشين . ورأيته يمد يده بتذكرة بتعريفه الى السائق

فيضعها فى جيب معطفه الكاكى الكبير ، وقلت : « كم تذكرة يحوِّشها كل يوم ؟ » وراح الترام فجأة يلفّ ويدور فى شوارع جديدة علىّ ، غريبة عنى ، ولكنى أعرفها بشكل ما ، كأنما هى شوارع الاسكندرية المبلّطة بأحجار البازلت السوداء المضلّعة يهب عليها هواء البحر المبلول ، أو شوارع زيورخ والبنايات الشاهقة تحفّها بصمتٍ وثقل ، ورأيت على غير انتظار أن فى الترام بجانبى سيدة نوبية نحيلة ضاوية العظام تخفى وجهها بطرحةٍ سوداء على طرفها خطٌ عريض بنفسجى داكن ، وهى تكح كحة جافة ، وكان على حجرها ولد مجروح فى جبينه ، والجرح مربوط بعصابة زرقاء كامدة تبدو على قماشها آثار دم سوداء .

ثم نزل السائق ، وتركنا .

وانطلق الترام ، دون توقف ، يجرى فوق انحدار الجسر ، على صفحة النيل العريضة ، بين المَوْتين .

وكأنما كانت قد قالت لى :

ـ الواقعة الحسية ، الفيزيقية ، البحت ، هى وحدها المطلق . هى الكينونة . صميم اللحم ، وحده ، هو الحق .

وكأننى لم أقل :

ـ أعرف . أعرف هذا فى لحظة اندفاقة المنى من حَقْوىّ . نشوة

التحليق ، بأجنحة الله ، فى سماءٍ لا قرار لها . أعرف . أعرف .

فهل قلت : أمّا همس الاحاسيس ، وخيالات التجريد ، فهى بضرورتها نفسها غائمة ومقطوعة ، مهلهلة مهما أُحِكم نسقها ؟

هل قلت لها أيضا :

ــ أنت ، فى جسما نِيَّتك الخالصة ، فى جمالك الكامل ، غير إنسانية ؟

قالت : انظرْ الى وجوه القديسات ، جامدةٌ تماما ، جميلة بثباتٍ تماما فى لحظة الاستشهاد ، وهن يمتن .

قلت لها : أعرف وجهك أنتِ فى لحظة ذروة العشق ، وأنت تأتين ، على شفرة النشوة الحادة النهائية ، هذا الجمال فى الموت هذا الجمال فى القتل هذا الجمال على آخر المتعة ، هو ، هو ، نفسه ، جمال القناع . جمال الأبد . نظرة الحياد الكامل كأنه إنكار كامل .

وقلت أيضا : فيما وراء الانسانى . فيما وراء جسر الفَقد .

قالت أيضا : عندك هوس التثبيت . جنون الحَجَر . وهْم الديمومة المستحيلة .

قلت : الجمال الكامل ــ كالعدالة الكاملة ــ هو أيضا لا إنسانى . صرخته خرساء الى الأبد .

قالت باسمة ، بخفوت بمعابَثةٍ كأنها آلية : أنت كالقطط ، تأكل وتنكر .

قلت ، جادا ، أحس سخافة جدّيتي : على العكس . قُبْلتك على يدي ثابتة الى الأبد .

وعرفاني بها مقيم حتى عبور ضفة هذا الجسر ، هذا الحب ، الذي هو نهاية .

قلت لها : شيخنا أبو العلاء قال : « حياةٌ ــ كجسرٍ بين موتين . وفقد المرء إن يُعبر الجسرُ » .

قلت : معيدا وممّلا : طعم حبّة ثديك فى فمى لا يزول . سفرنا معا لا يحطّ الرحال .

وقف الترام وحده .

وصل أمام حديقة ، كأنها فى « مينا هاوس » ، وارفةٍ وأثيثة بأشجار السرو والنخل والجازورينا والسنْط والمانجه والجميز . وكنت وحدى ، أتشمس ، على كرسى من الحديد الأبيض المشغول . مسطحات العشب الخضراء ممتدة أمامى حتى النهاية . مروحة البئر الارتوازية عالية تدور ببطء فى السماء شاحبةِ الزرقة . وكأنما الصحراء ، بعد ، هناك ، عميقة ومنتظِرة .

كان المبنى يرتفع إلى يمينى ، بأدواره المتتالية ، شاهقا وعريضا ، فيه شرفات ناتئة ، حجرية ، بسياجٍ من أعمدة الرخام القصيرة مسحوبة عند الطرفين ومليئة عند سمانتى السيقان اللامعة ، وفيه

مقصورات داخلية تغوص فى آبار السلالم المكشوفة .

وكانت الصروح الثلاثة الشامخة تبدو لى ، على ثقلها ورسوخها الألفىّ ، محلّقة فى السماء البيضاء تقريبا ، بلا وزن .

كان ميلاد وصفى يتجه إلىّ ، وخفق قلبى من المفاجأة . نسيت الآن تماما كأننى لم أعرف قط أنه غرق فى العجمى منذ أربعين سنة ، وكان يبتسم وفرحت بلقائه وقلت له بلهفة : « ما رقم غرفتك » ؟ قال : « لا أعرف . وأنت ؟ » قلت : « ١٦ » قال : « هذا رقمك السحرى ، أليس كذلك ؟ خلّ بالك ! » وفكرت أنه سيلقى علينا الليلة ما يحفظه من أغانى الصيادين والفولكور الاسكندرانى ، وأننى سأكتبها ، وأضع عنها مقالة هامة . ولم أجده أمامى ، ولكنه ترك فى يدى حس يده وهو يصافحنى مودّعا إلى لقاء ، وكأن يده غير المرئية مازالت تمسكنى . ولم أستغرب .

وكانت الكلاب تنهش الزروع ، بصمت ، عاكفة عليها .

قلت لنفسى : عيونٌ زرقاء بنار الجشع والجوع المستمر ، منضبطة الاتقاد ، تعرف الكثير جدا ، ولا معرفة عندها بشىء .

آلات كفء قادرة ، نّهاشة . .

قلت : نحن . . نحن كالسمك ، كالضفادع . لكن جسمانيتنا ملوثة .

قلت : أيضا : هنّ أخريات . كلُ منهن مستقلة ، معزولة ، تماثيل ، بل دُمَى مصقولة ، أثداؤ هن المبذولة الصُلبةُ مكشوفة على عظام القفص الصدرى . بطونهن مسطحة . معاديات ، لأنفسهن ، للرجال ، للعالم .

قلت : أنصاف حقائق وأشباه حقائق . ككل شيء .

قلت : أما الدفء ، والمعرفة ، والحقيقة ، فليست هنا ، أو هناك . ليس لها مكان ، ولا تاريخ .

قلت : مكرِّرا ورتيبا : صحيح . ووهْم لايقوم على ساقين .

الكلاب تشبه نفسها تماما ، كما هى فى نقوش الأحجار العتيقة ، كأنها بنات آوى ، لم تغيرها أزمنة سحيقة .

طويلة الأعناق ، مسحوبة الجسوم . جاءت فى جماعات من أطراف الصحراء ، حلقات وفُرادى . تنبح أحدها الآخر ، وتعوى ، ترفع رؤوسها المتوترة ، على آخرها ، الى القمر المضىء بنور صلب .

كانت ضراوتها وحشية ، وكانت تتوفز للهجوم ، أو للفرار ، خوفا أو يأسا ، مشحونة بتهديد كأنه آتٍ من وراء القبور .

١٩٨٩/٨/١١

القرد والأطفال

« تمزقات النور ليست مظلمة »

كنت أعرف أنه حيوان عاقل . بل كنت أرى فى عينيه عقلاً لم أره من قبل فى عينى أحد . تصورت أنه سوف يتجه إلىَّ بالحديث ، على الفور . لكنه استمر ينظر إلىّ ، فقط . كان عريض الكتفين ، بارز الفكين ، وصغير الجسم . فى لون الحديد الأرمد .

ورأيت أنه يحمل على رأسه العريض المفلطح قرص الشمس المنطفىء ، متأرجحا بثبات على قارب شاحب النور .

وكان شعر جسمه يتدلى عليه ، من حول رقبته الممتلئة وعلى منكبيه فى خُصلٍ مجسدة تنسدل عليه حتى تغطى قضيبه الكبير . وكان جسده نيِّرا من خلال هذا الستر .

لم يتكلم .

فى الصبح الأول ، فى أول الصبح ، نزل من على السندرة التى تعلو الحمّام فى بيتنا القديم ، وكان الحَمَام الأبيض حواليه يهدل

بصوت غريب ، وقد ضم جناحيه ، واقفاً على ساق واحدة ، رفيعة وطويلة ومحمرة الجلد .

نزل القرد الصَموت على السلم النَقَّالى بخفةٍ ورشاقة ، وحركاته فيها حكمة ليست فطرية بل متدبِّرة ومازال هادئا ، صافى العينين .

ثم بسط جناحيه الواسعين من تحت شعر جسمه المنسدل .

قلت : من فصيلة الملائكة .

كان جناحاه طويلين ، قويين ، وفى حركتهما المفاجئة هبّ علىَّ هواء بارد .

كنت تحت جناحيه . كان يطوينى تماما .

وقال لى عندئذ : ما دامت عين المعرفة مفتوحة فلماذا لم تهجع عين الجسد ؟

وقلت له عندئذ : عين الجسد أيضا ترى حقيقتها . وحقيقتها لا تُدْحَض .

وعندئذ سطع منه النور الباهر الصاعق فأغمضت عينى مخافة التهلكة . وفى البرق المحيط سمعت صوته : كل نورٍ آخر هو الظلام .

وكنت على يقين كامل بأنه لم ينطق ، قط ، هو اللسان الدائم المتحرك أبداً بشهوات الروح وعزم الجسد .

بكى قلبى .

أما هى فكانت جالسة عريانة تقريبا . على الصوفَا الـوثيرة . ساقاها كعمودين نازلين على السجاد العميق المَوج ، ومياه الفسقية المنحوتة فى الرخام تسيل بخرير ناعم من فـوهات النـافورة القليلة الارتفاع .

وكـان القرد العـاشق يقعى تحت قدميهـا ، يرفـع إليها عينيه العسليتين بنظرة عبادة .

مدّ ذراعيه وجناحيه معـا ، وأحاط سـاقيها العبْلتـين بأطـرافه الأربعة ، وانطبق الجناحان بصوت ارتطامٍ لحْمى . كان فخذاهـا العاريتان تطفوان فوق كتلة العناق الأرضىّ ، وكـان بطنهـا المدور الرائق السمرة يستقر ، براحةٍ وتماسـك ، على رأسـه المدفـون عند ملتقى الفخذين ، وكان صـدرها الشـامخ ، عـالياً فـوْقْ ، مثمراً بُرمانتيه الخمريتين الموَّردتين ، تحت الجاكته النايلون الشفافة ، فاتحة الزرقة سماوية النور ، مفتوحة . وكانت أكمـامها القصيـرة وفتحة الطرفين كلها ملفلفة بتطريزٍ متراكب التلويات على بعضه البعض ، من نفس اللون ونفس النسيج .

قلت : هذه قُدسيةٌ تتجاوزنا .

وقلت أيضا : كل موازينى ترجحها هذه اللحظة ساكنة الأبد .

وقلت أخيرا : ومن يرصد حساب الزمان غير المرصود ؟

أخفيت عيني وفكيّ ، وأسناني القوية ، بين فخذيها .

في البحيرة الساجية عرفت أن في ظلمة هذا الجسد نوراً لا مثيل له ، وفيه بهاء لاقياس عليه . كل شيء آخر ــ مضى أو سوف يجيء ــ جافّ خشن معتم .

وقلت : في عمى هذه اللحظة أزلُ البصيرة .

وانتظرت انقلابَ الموج وضربات عاصفة الشهوة .

كنا معاً ، جميعا ، وكنا قد شارفنا على حمرة صباحٍ صامت . دخلنا حديقة مهملة ، عليها ورق الشجر اليابس ، وبقايا السنين . كان سورها الخشبي مفكك الألواح ، متداعيا .

الأشجار الدهْرية الضخمة وارفة وغصونها الكبيرة ، مفروشةٌ واسعاً ، متهدلة وشعثاء ، تحتها دكك عتيقة متآكلة الأطراف مشروخة الخشب .

وكأنني نشقت رائحة التراب الطبيعي القديم تهب في الممرات المظلّلة التي تغطيها حشائش جافة وقوية العود .

أما البيت فكان كبير الحجر . منخفضا ، ليس في جداره السميك الا نافذة عريضة واحدة ، مفتوحة على غرفةٍ عريضة واحدة ، مهجورة ومعتمة ، وفيها بيانو ضخم ، مائل على جنبه ، مكسور الأقدام ، والصوفا مكسوة بقماش كريتون أصبح الآن من

غير لون ، مطموس النقوش . ورأيت أن البيت يقع على جسر رمليّ مرتفع فوق شاطئ النيل المهيب ، أمواجه فى الفيضان متلاحقة خصيبة الحمرة مُدمدمة .

وكانت ترتفع على جدار البيت الخلفى تعريشة عنب ، عناقيدها صلبة محجوزة العصارة ، وأوراقها العريضة خشنة الملمس ، مانعة .

قلت : لماذا الخراب ؟ والبينونة ؟

قال : لأن الصمت نذير الفناء ، وصِنْوه . لماذا صَمَتٌّ ؟

قلت : لم أنطق كلمة زور واحدة .

قال : لن تجتاز . لن تصل الى الشط . ليس لديك من مركب ولا مجداف .

قلت : ريشة معت شراعى الوحيد . تحته إبحارى وعبورى . لن أخشى تحته موج الظلمات . متى أجد عذوبة الصحبة ، ورفقة أرواح الفجر ؟

وكان البيت القديم قائماً هناك ، كأنه من بيوت عمال الدريسة فى الزمن القديم ، حارسا على قضبان السكة الحديد . ولم يكن هناك حوله شىء ، ولا أحد . فى خارج حديقته المنسية لا شجر ولا غيطان . فقط ، عميقاً تحت الجسر الرملى العالى ، يجرى النيل ، فسيحاً مرتفع الصدر بموجه المحمرّ الغضوب .

ورأيته يقف على باب البيت وحيدا ، مدموك الجسم ، شعره الرمادى يكسوه حتى الأرض ، ورفع ذراعيه إلىَّ ، فى عينيه نظرةٌ ترصدنى ، ولم أفهم مافى حركة ذراعيه ، هل هو تهديد ، أم تضرّع ؟ كان جناحاه مطويين .

قلت له : أدركنْى . إن قدمّى غير ثابتتين وأخشى أن يجرفنى الفيضان .

لم يقل شيئا .

وكأنما قال : مامن نجدةٍ لك أبدا . اجتاحك الطوفان أم خَلاَك ، سواء .

سقط قلبى . كان يحمل وجهه . مربع الفكين ، حادّ الأسنان ، وكانت عقود الفيروز وأطواق تمائم الخزف الأخضر تخنقنى .

وكأنما انحسرتْ ، هى ، عنّا . بارحتْنا . البينونة قاسية . الفُرقة لا تطاق ، والقطعْ . لم نعد إلا أنا ، وهو .

قلت : أنا ؟ أم هو ؟

أمام البيت ، وجدت الطفل نائماً على الرمل المحبب والحصى والزلط ، بلا حراك ، كانت جلابيته كالحة من التراب والطين والدم الجاف ، وممزقة تبين منها عظام صدره الناتئة السوداء ، كان وجهه محترق اللون مربدّاً مغمض العينين بعناد ، والجلد مجعّد حولها . كان

فيه مع ذلك شيء ما ، لا أتبيّنه ، يقول لى أنت هو الطفل الذى كنت ، مع كل الغيبة ، ولما تزل .

صرخ فجأة وهو نائم ، صرخةَ وجعٍ طويلة طويلة ، متقلبة .

معذَّبة ، لا تُحتمل .

من غير أن يستيقظ .

كأنه تعلمّ أن يتعايش ، من غير حلّ ، مع الألم المُقيم ، ومع الكابوس .

رأيته مرة أخرى ، يمسك بالعلم الأخضر ، الأبيض ، الأسود ، يلوح به ويطوح بالحجارة ، سمعت انفجاراً مكتوما للغاز المسيل للدموع ، بين حيطان الأحجار الألفية ، وقرقعة الرصاص . كان الطفل تنهلّ من عينيه دموع ليست من الحزن ولا من الألم .

ثم رأيته يسقط مضروباً بالنار ، مرة واحدة ، جامدا متصلب الوتر ، على أرض الجلجثة . على أرض الصليب . دون صوت . وكان ينزل من ركنٍ فمه خيطٌ رفيع من الدم .

قلت : مطلق الألم تجريد . ليس فى الألم مطلق . هو دائماً معجون باللحم الحىّ .

قلت : أليست حقيقة الحس فى مجرد تقريرها ؟ دون برهنة . دون دليل . قوتها قوة الحلم . سطوة الكابوس لا تُنْقض . ما الذى يعطيها نهائيّتها .

ولكن الكابوس ، هو ، غيرُ نهائي ، مهما كانت سطوته . قلت .

كان الآن يقف في مواجهتي ، مُحْنِيَّ الرأس ، صدره محلًّ بتمائمي وأحجبتي المنقوشة بخَطّي بأبجديّتي ، وهيروغليفيتي . شخاليل الكريات الذهبية تتدلى من رقبته الغليظة دون أن تصدر عنها أدنى صلصلة .

وكان يصغي إليّ ، دون أن يتحرك ، وكان هو وحده يدرك معنى ما أقول . رأيته ينقسم أولاً الى ثلاثة أطفال ، متطابقين مع أحدهم الآخر ومعه ثم أربعة ثم لا نهاية منهم واقفين صفوفا متراصة متعاقبة حتى الأفق حتى آخر المدى . كل منهم صدره محلًّ بنفس التمائم والنذور ، كل منهم تتدلى من عنقة السميك أطواق كريات الذهب ، ولكل منهم جناحاه المطويان تحت شعره الأرمد المنسدل .

أحسست ، في جسمي ، أن الثلاثة الأبكار ترتمي على كومات من الفحم المتقد على بلاط البيت القديم .

صعد من الحجر الصلب المتوهج بالنار دخان اللحم والشعر المحترق ، ورائحة الشيّ الجافة .

ولكنهـا ظلت تحدّق فىّ ، نـظرتهـا يقـظة ، حيـة ، وعـاقلة ، لا شكوى فيها . ترصدنى بهدوء . عيونها الستة فى داخلى ، أنا .

وكانت ظهور الأطفال القِرَدة الإلهية مقوسة الآن على النار ، فوح احتراقها قوى يملأ البيت ، لا ينجاب .

انطفأت الأنوار ، ثم أضاءت وحدها . وانطفأت مرة أخرى .

مَنْ معى فى البيت ؟

كان على البلاط العارى ورق ممزق يتطاير به الهواء ، قصاصات صحف ، تَبَيَّنْتُهـا ، وصفحات مكتـوبة منتـزعة ومشّعثـة ومطبقـة ومتعرجة القطوع . سمعت خشخشة الورق ، قويـة ، واضحة فى السكون .

قلت : مَنْ يمزق الظلام ؟ مَنْ معى فى البيت ؟

ورأيته ينتصب قائماً أمامى من جديد ، من بين رماد الأطفـال الثلاثة المحترقين ، رافعاً ذراعيه الى أعلى ، مفرود الجناحين بشعرهما الكث ، عريضينْ ، متوترينْ ، ممدودينْ إلى آخرها .

كان مُرعباً . وعدوّا .

وكان قريباً جدا إلى قلبى .

اندفعت أفّر منه .

انطلقت أجرى ، أهبط السلم الحجرىّ الوعر .

كـان ورائى ، أحسست أنفاسه السخنة ، ولمحتُه ، بطرف عينى ، ومعه فأس مدببة ، حادة السن ، تومض فى العتمة الخفيفة .

كان النور يبدو لى خَطَّاً أنيسا من تحت الأبواب الموصَدة وأنا أتحدر لا ألوى على شىء ، أنزل السلالم التى لا تنتهى .

ولا الأبواب تنفتح ، ولا صرخة الاستنجاد عليها ردّ .

السلم هادىء مسالم لا يأبه لنِيَّةِ القتل .

وحتى من قبل أن أصل إلى الباب الخارجى ، المفتوح على مصراعيه تحْت ، رأيت أن الأرض قد نورّت بنور النبات الأحمر والأصفر والأبيض .

١٩٨٩/٨/١٢

رقــصــة الأشــواق

« وطيور العشق جُثُومُ »

كنت أربيهـا ، على سـطح البيت القديم ، فى السَنْـدرة ، فى البلكونة المطلة على شارع ابن زهر ، فى راغب باشا ، وفى الجانب التحتـــانى من مكتبتى الصغيـرة ذات الـرف العلوى والضلفتـين الزجاجيتين .

كان منها الأبيض الشاهق متقد البياض ، ممتلىء الصدر ، هديله عميق .

ومنهـا الذى يضـرب ريشه المفهـاف إلى زرقـة وحمـرة متقلبـة مترقرقة ، منقاره طويل ولكنه صموت كتوم .

ومنها البُنىّ الناعم ، نكهةُ لونه أفريقيةٌ ساخنـة وله غنـة رتيبة الايقاع .

والأسود المرقَّط الذى تسرى فى طوقه المنقوش شهبة رمادية مائلة الى البياض ، يتخطر بثقلٍ ودلال ، ضخماً بطيء النغمة .

وكان منها الأملح المنقَّط خفيف القامة دقيق المنقار ، طويل السيقان محمرٌ جلدها يتنزى ويتوثب تطير به النسمة .

ومنها مُوَشَّى القدمين بزغب صغير يرفرف ، وحده ، اذ يهبّ به الهواء .

ومنها نحيل القدّ مسحوب بَرِّىٌّ الجسم كأنما شفَّه هوى مشبوب .

لكن مياه عيونها ، جميعا ، كانت صافية وعميقة ، وكأنما فيها غضب نقىّ .

وكان ريشها الصغير يتناثر حولى ، على الأرض ، بين الكتب ، تحت الكنبة ، فى كل مكان .

ويجف زِبْلها الأبيض اليابس على الأرض ، على المائدة الرخام المستطيلة الدوران ، فوق رفّ المكتبة وفى قاعها ، وحتى على السرير ، فأجمعه وأبيعه بالرخص للرجل الذى يمر تحت فى الشارع وينادى : « زبل الحمام » .

كانت تحوم منذ شقّ الفجر ، وتطير ، تخبط خشب النافذة وزجاج البلكونة ، ثم تطير ، ترفرف بِحُرّية ، وتعود إلىَّ فى وقدة الظهر فتستكنّ إلى حماى . وكانت تسبح بهدوء ، دون صوت ، موجِعة للقلب ، فى سماء ليالى القمر .

طارت الآن عني . هل تعود ؟ هل تعود ؟

بحثي ـ حتى الآن ـ عقيم .

بعد سنين طويلة رأيت حمامتين بيضاوين فى ريشهما نثار البُنيّ الفاتح ، تتبختران بثقةٍ وتمكّن فى دكانٍ ضيق فى شارع الصَليبة ، حاشدتي الصدر ، تنقران أرضية الدكان دون تعجّل . ورأيت فجأة أن هذا الدكان الفقير الغريب له أرضية ترابية ، وكانت فيه رفوف خشبية مُسْودّة اللون ، معظمها فارغ ، وبعضها عليه ما يشبه الخردوات ، وعلب صفيح كبيرة مقفلة وصدئة ، وزجاجات بيرة وويسكى وكوكاكولا فارغة مرصوصة . وكتب مدرسية مستعملة وكراريس وكشاكيل وأقلام رصاص وأقلام حبر جاف ، وبالونات منفوخة علاها التراب ، وعجلة بسكليت دائرية ضخمة مما يُستخدم فى السيرك والموالد ، واحدة ، وخُذها ، مقطّعة الاسلاك ، وبَكَر ولفَف خيطٍ أبيض واسود وحلويّات وكراملات ومصّاصات وبراغيت السِتّ فى برطمانات قديمة الشكل ، وإبر الوابور والأقماع وأكواز اللوف الأبيض الخشن الفتائل والليف الأحمر المتهدّل الخيوط ، وصناديق خراطيش السجاير الملونة ورصّات كليوباترا وروثمان جنباً إلى جنب مع عِلَب هوليود وكوتاريللى ويَحّارى الفارغة ، روبابيكيا قليلة ملقاة على الأرض ، نفايات البيوت طشوت مخرومة وحلل مطبَّقة ومرايات مكسورة ، وأكوام مجلات عربية وفرنسية قديمة بهتت

أغلفتها الصارخة الألوان وتمزقت ، وحوض حمّام من الرخام المشروخ الذى كان فاخرا فى زمان العِزّ ، منزوعَ الحنفيات والمواسير الآن ، مسنودا الى الحائط المزدحم .

والرجل ، بجلبابه الرمادى ، ولحيته الرمداء الهائشة ، جالس على كرسى حمّام صغير يصنع لنفسه الشاى فى إبريق من الصاج الأزرق المدوّر على سبرتاية صغيرة ، يبدو هادئا ، سارح العينين فى أفق خاص به وحده .

رأيت الحمامتين تأتيان إلى قدميه الحافيتين تطويان ساقيهما تحت الأجنحة وتستنيمان إليه ، وقد انسرح الريش على الجسمين الممتلئين .

صبّحت عليه ، واشتريت منه نسخة من ألف ليلة وليلة قديمة من أول القرن ، وناقصة جزءا ، وأغلفتها مفقودة ، ودفعت له بعد طقس الفِصالِ الشكليّ القصير ، جنيها واحدا . وعندما سألنى هل أكتب للاذاعة ؟ وقلت له نعم ، خصم لى عشرين قرشا مرة واحدة على سبيل التحية والرجوليّة .

قلت : اين حمائم أشواقى الطائرة ؟

فنهض الحمام ، يتأرجح وجسمه يهتز بين أقدامنا ، وخرج الى الشارع لكى ينقر حبّات طماطم شديدة النضج تفجرّ جلدها الأحمر

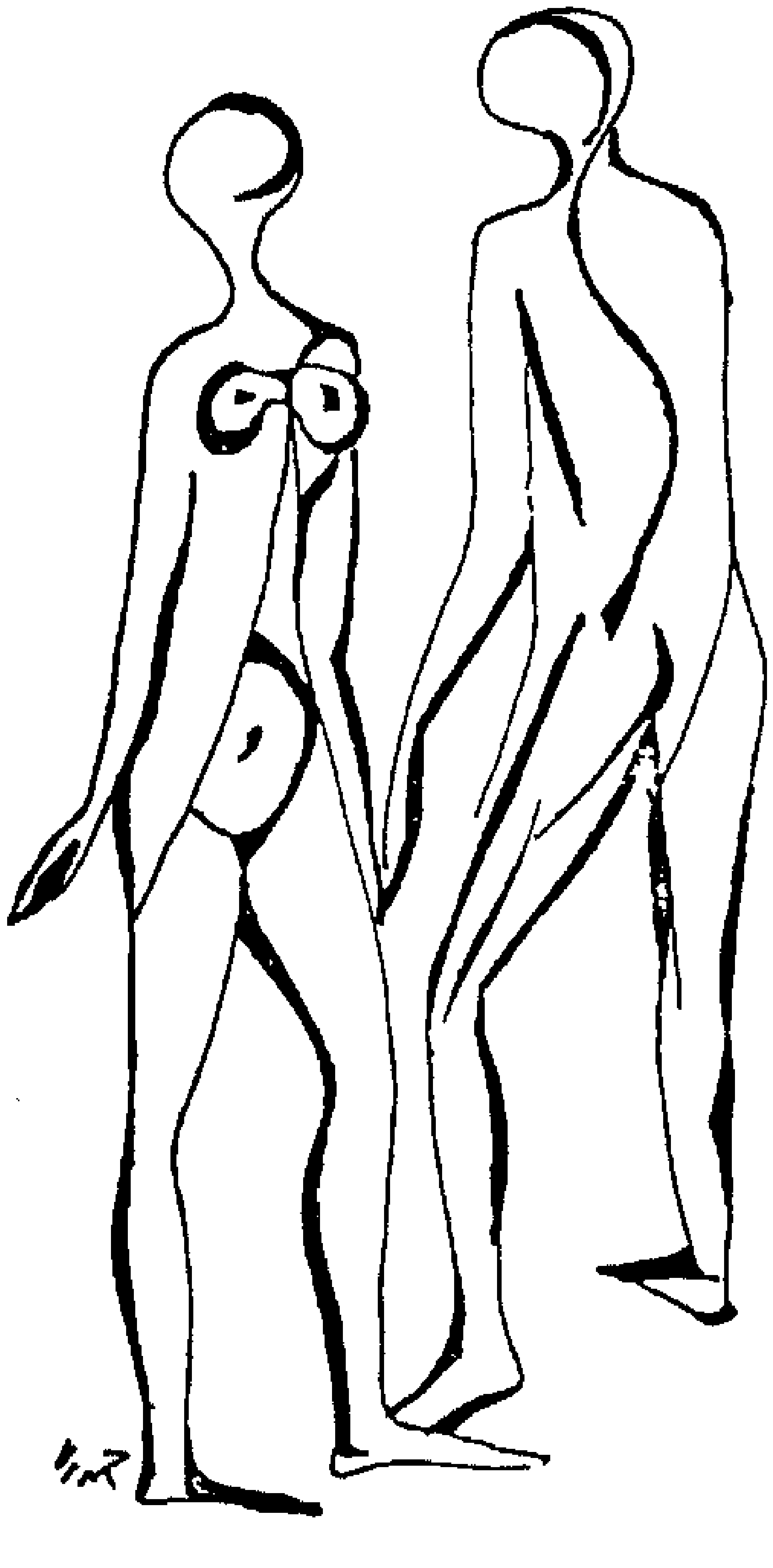

الضارب الى صهبة قانية عن لحم طرى متهدل به بذور بيضاء كبيرة ، كانت الطماطم ملقاة تحت جذع شجرة سَنْط عريقة خشنة مشققة اللحاء ، صاعدةً الى ما فوق البيوت القديمة المائلة على أحدها الآخر ، مبنية بالبغدادلى والطوب الأحمر الذى أسود الآن بين عوارض الخشب المتقاطعة ظاهرة للعيان . والشجرة تعانق أختها الصاعدة من حفرة واسعة عميقة فى خرابة جنب الدكان ، من أثر هَدْم . أحجار الهدد القديمة والأنقاض مازالت فى الحفرة قد غاصت وجفّت فى تربتها وفيها ربوات قليلة الارتفاع ووهدات ترابية تصلّبت ويبست ، سوداء طينها لا يجفّ تماما ولكنه ليس مبلولا تماما ، جذور السنطتين التوأمين تضرب فى هذه الأرض ، عَضِلة عَبْلَة معراة ، خشبها يبدو أكثر غُضْرة وفتوّة من خشب جذعى الشجرة الواحدة المنقسمة اثنتين ، والأغصان الفينانة تتشابك فوق سطوح البيوت المتداعية ، وتتراكب وتصنع ظلّة خضراء عريضة .

قلت : لماذا تسحرنى الشجرة الوحدانية المشطورة غير منفصلة ؟

قلت : هل لأن الحمام السمائى ، بعيداً ، يقطن أفنان هذه الشجرة التوأمين ، حضنها وأعاليها ، جاثما فيها جُثوم الموت ؟

أما الحمام الأبيض الأرضى الشكل فلم يلتفت إلىّ أدنى التفات .

قلت : المحبة تحتمل كل شىء .

قلت : حانت ساعة تلقى . تهتّكت روحى شوقا .

كنت على شاطىء كامايين ، أُطل من شرفة أوتيل دى فرانس العريضة الفخمة . أمامى على المائدة الرخامية كأس طويل من مارى الدامية على حافته لذعة الفلفل الحادة . هواء المحيط يهب عليّ من خليج غينيا بسمائه المنخفضة المحمّلة بسحاب أبيض سرعان ما سوف ينجاب عن حَرٍّ مصوِّح .

الصخور السوداء ناتئة الحوافّ عميقة الشقوق شواهد ماثلة أبدا على اهتياجِ بركانٍ قديم وسفوح الرمال تتهادى بيضاء طحين ناعم مسحوق جيداً تتلألأ فيه نقطٌ متوهجةٌ مثل سِنّ الابرة . وأشجار جوز الهند سامقة يميس سَعَفها بالثمار المحميّة المكنونة فى العلاء .

الخليج الاستوائى فى بهرة الصبح هادىء موجه لا زوردىّ كأن صفحة الموج سماء توأم أخرى مبسوطة تحت أختها حتى شفْرة الأفق ، لا تكاد تترقرق .

شِباك الصيادين مفرودة على حجر الكورنيش المنخفض ، مغسولة تفوح برائحة السمك وقد ركعوا تحتها ، بأجسامهم الناحلة المفتولة ، وطيات اللباس الاسكندرانى الأسود ملمومة تحت جذوع السيقان الجافة ، يرتقون قطوعها بإبرٍ طويلة تومض عندما ترتفع وتنخفض بين فتائل الشبك .

شَبَك حبيبى شَبَك .

القارب الصغير ، مشدود الأضلاع ، يقف على سيف البحر ، عند الخط الفاصل بين الرمل والماء ، يمسك دفته القردُ الإلهى العاقل ، مدموك البنيان .

القامات الأنثوية الرشيقة . أراها ، فى عكس النور ، مجسمة سوداء ، والنهودُ ثمار أخرى لامعة الجلد ناهضة بعصارتها الكثيفة المتماسكة .

تنزلق الحمائم الداكنة منسابة ، بالكاد تماماً على سطح البحر .

هل نزل البحارة بخناجرهم العريضة وذهبوا بهنّ إلى سفينة إسبانية جوانبها مصفحة برقائق الذهب ، غارقة محملة بكنوز القراصنة القدامى ؟ ماذا يهفهف خلف القلعة العريقة التى لا يكاد الزبد النقىّ البياض يرغى تحت سفحها ؟

أراه من فوق حافة مارى الدامية وأوقن أنه ليس ثم شىء .

كل شىء سوف ينقلب بين لحظة وأخرى إلى نقيض مايبدو عليه .

القارب السحرى مركب سمك فقيرعاد به الصيادون الى المرسى بعد كدح ليل طويل فى قبضة الموج . تتزاحم بنات الأنفوشى وبحرى ورَاس التين عليه ، والستات التُخان بالملايات السوداء النازلة من

على الأكتاف المدورة تبدو منها قمصان النوم غير النظيفة تماماً عارية الاذرع والنحور ، ليأخذن منه بالرخص شَرْوة سمك ملء القفة ملء الحلةَ من السبارس والشِرّ الصغير ، أو ملء الكَرَوانة جمبرى عاجىّ الجسد .

السفينة السحرية شراعٌ مبسوط فى نسيم الصباح ، فَرْدُ جناح حمامةٍ بيضاء ، تحلّق وحدها فى سماء الإشارات ، سَبْحةُ صَبَابة ، وجْد لن يبقى منه أثر .

أترقب ، وأتوجس خيفةً من الزوال والدثور ، ملهوفاً أمام دوران دراما لا سيطرة لى عليها ، لا أدرى عمّ تتمخض فى أية لحظة . أُحس رفرفة فى داخلى لا أعرف أن أهدئها ولاأريد أن أطامن من روعها .

وأعرف أن هذا كله قرين البِلى وأن العطب لا محالة مُدركى ، والتهلُكة .

هانذا فى سخونة أحشاء العالم . أثداؤ ها المليئة تُرضعنى سلافة حارة ثقيلة ، صبواتى تذهب الى البطن الخصب الوثير والأرداف العريضة السمراء ، أما الخمر المشعشعة الحقّ فليست مرئيّة ولا محسوسة ، ولا تنبع الا عن هذا الغنى الفاحش الذى أَصلُ فى نشوةِ سكرِه الى غايته ، وما لهذا الأمر من غايةٍ ولا حَدٌ ، فما من لذةٍ

أعرفها الا وراءها أوفى منها وأتمّ . متاهات الفتنة والمعرفة لا أرعوى عن الضرب فى مسالكها ولا أخشى الهلك فيها .

مددت يدى وملْئُها لذاذاتُ الهوى وعلقم الموت معا . مَنَار عقيدتى بلا خجل . هفيف الحمام الذى يغيب وما بلغت شيئا . ظلاله قَطّعتها حافةُ الأفق الحادة . سكران من الملء وسكران من العوز ، سكران بالتحقيق وبالطلب ، وبالنعمة وطعْن الحرمان ، سواء ، بلا صحو .

لماذا أحببتكِ ؟ لماذا ؟

عُمدة الحب اللقُيا لا الفراق .

لكنى لا أُفرق ، من سُكْرى ، بين الوصل والنَفرة ، وما من إفاقةٍ لى على القُرب ، وعلى البينونة ، معا ، وما تزول أشواقى عند التلاقى والمعانقة ، بل تفيض .

فأين المفرّ ، وأين الملاذ ؟

قلت لنفسى : لا يكون لِك ، منك ، شىء .

وكنا نعبر كوبرى السلطان . الأنوار العالية تتعاقب وتسقط على حِجرها داخل سيارتها الفولكس واجن ، وتُضىء فى ومضات متلاحقةٍ لحم فَخذيها السمراوين ، مفتوحتين قليلا ، حاشدتين بشهوتى ، انحسر الفستان الخفيف قليلا الى أعلى ، وعليه علبة

السجائر ال ستايفيسنت وشريط الكبريت منزوع الغلاف . ألتقطهما من الوهدة الطرية المتحركة أهونَ حركة في تركيزها على قيادة السيارة والتحكمّ فيها ؛ وأُشعل ، وأنفثُ ملء الصدر من دخانٍ أولِ احتراق ، وأعطيها سيجارتها مبللة أهون بلل بأثر نيّةٍ قبلة متطايرة من على الحافّة المستديرة .

وعندما عبرنا الكوبرى كان الشجر المتكاثف على رأس النيل يأوى النُقَط الغافية البيضاء مطوية الأجنحة .

أنوار الشط الآخر تلوح وتختفى تحت سَعَف النخيل بين المئذنة والمسلة الصغيرة الخجول ، منسية تقريبا .

وعلى ضوء النجوم رفعت إليّ وجهها الخمرى المدور ، قناعاً مصقولاً كامل التدوير ، لا تهتز فيه خلجة ، وكانت قطرات الدموع تنزل من عينيها الواسعتين المفتوحتين ، كل قطرة مدورة ومنفصلة وتنزلق بنعومة على صفحة الخد وتنزل الى منبت النهدين المفروشين براحة في فتحة البلوزة الواسعة . دون صوت ، دون كلمة . كأنها وحدها تماما . وما زالت تمسك بعجلة الفولكس واجن وتسيرّها بحركة آلية .

رمقتنى لحظة واحدة . بنظرة حبٍ لا مثيل لها . سرعان ماعاد القناع نظيفا كامل البراءة .

رأيت أن أشواقى سوداء الجسوم ، يرقصن حواليّ ، عاريات

الأثـداء ، والموسيقى الحـوشّيـة تحتـدم ثم تختنق . أوصـالهن تعلو وترتمى ، أشرعة أجسادهن مبسوطة مفرودة أمام عصف الشهوات ، تهبّ بها الأنواء وتنام على الريح الرُّخاء .

يتمددن يتصبن ، متوتـرات بين أنقـاض أحلام غـابرة مليئة بالدموع . الأرض تثوخ تحت الأقدام الراقصة ما تكاد تلمس تراب الغيطان المحترق المنثور بأوراق الذرة الجافة .

ينحين على قبور الآلام البائدة ، كأنما بحنان ، ثم يقمن لحظة ، شواهد ماثلات فى فضاء سحيقٍ خاو ، ثم تنهار أحجارهن .
شعرهن الوحْف كثيفاً تغوص فيه الأيام القديمة وتعود .

لأشواقى أجنحة طويلة تتماسّ وتتـراكب وتتحاضن ، لحمهـا غضّ وقوى ومتماسك .

يدرن الآن حولى فى حلقة مقفلة ، وجوههن زنجية الشفاه ، تأوُّدُ أردافهن حاد السرعة متلهف خاطف التحولات ، ثم هو رضىٌ ساجٍ يكاد يكون صامت الرقرقة .

طيور العشق راسية فى وسط الحلقة ، جاثمة ، ثابتـة ، ثقيلة كالصخر وصافية العيون كالماء ، ومتقدة الأحشاء .

ثم وجدت أن شجرة البانسيانـا الضخمة الـوارفة التى تقتحم شرفة البيت القديم وتغرقه بغصونها العريضة المثقلة ، تحترق .

النار ساطعة ولامعة ولها وشيش وصوت مغردّ .

النار على أطراف الشجرة فقط ، تتقد فى شُعَلٍ دائرية صغيرة ملمومة على نفسها .

أصبّ عليها الماء بسطل أحمر من البلاستيك كنت وجدته على ذلك الشاطىء فى حلمى الآخر .

كنت قد طلبت المطافىء لكنها لا تجىء .

المياه القليلة تسقط على جدار البيت الذى سخن الآن من النار ، أحس وقدته تصعد إلىّ . المياه لن تكفى للإطفاء ، النار سوف تمتد وشيكاً وتلحق ببقية الشجرة وتدخل إلىّ من الشرفة وتنفذ إلى داخل البيت . ماذا أفعل . ماذا أفعل ؟ هسيس صوت النار لا يكفّ ، والغريب أنها ما زالت مضمومة فى كريات مدورة متلظية باللهب حول أطراف الغصون فقط ، كأنها شراشيب مشتعلة على ضفائر البنات المهتزة الطويلة . صوتها ، صوتها مُلحّ بثباتٍ واضطراد صوتُها هو وحده يعلو . تقترب ، بنذيرٍ لا يطاق .

قلت ، أُصاحِبُ سيدى الجنيد وأمشى على خطاه : انني مكثتُ فترة وكأنما السماء والأرض تبكيان لحيرتى وحبّى . وحمائم أشواقى تطير عنى . ثم أصبحتُ وكأنما أحترق من غيبتها فىّ . وهآنذا الآن أَسكت . لا أقول شيئا بعد عن البكاء ولا عن الحريق ولا يبقى لى إلا الموتُ الثانى ، يقينُ العطش .

١٤ مسْرى ١٧٠٥

٢٠ أغسطس ١٩٨٩

للمؤلف

● قصص :

١ ــ حيطان عالية

مجموعة قصص ، على نفقة المؤلف القاهرة ١٩٥٩

٢ ــ ساعات الكبرياء

مجموعة قصص ، دار الآداب . بيروت ١٩٧٢

٣ ــ رامة والتنين

رواية ، طبعة محدودة ، القاهرة ١٩٧٩

المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠

٤ ــ اختناقات العشق والصباح

قصص ، المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٣

٥ ــ الزمن الآخر

رواية ، دار شهدي ، القاهرة ١٩٨٥

٦ ــ محطة السكة الحديد

رواية . مختارات فصول القاهرة ١٩٨٥

٧ ــ ترابها زعفران

نصوص اسكندرانية ،

المستقبل العربي القاهرة ١٩٨٦

٨ ــ أضلاع الصحراء

رواية ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٧

٩ ــ يابنات اسكندرية

رواية ، دار الآداب بيروت ١٩٩٠

١٠ ــ مخلوقات الاشواق الطائرة

رواية ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩١

١١ ــ امواج الليالى دار ، شرقيات ، القاهرة ١٩٩١

● دراسات ومقالات :

١ ــ الصلابة موقف اخلاقى

الجمهورية القاهرة ٢١/٧/١٩٥٦

٢ ــ لا .. بل الشعر قوة الانسان
والكلام اعظم خطرا من الحرب

الجمهورية القاهرة ١٩٥٧

٣ ــ عالم نجيب محفوظ

المجلة القاهرة يناير ١٩٦٣

٤ ــ الفنان ناقد ايضا (تعليق على نقد
ماهر شفيق لقصة ، تحت الجامع »)

الادب القاهرة ، نوفمبر ١٩٦٣

٥ ــ شولوخوف والدون الهادىء

المجلة القاهرة ديسمبر ١٩٦٥

٦ ــ ملامح صورة عالم مضى اندريه موروا

المجلة القاهرة ، نوفمبر ١٩٦٧

٧ ـ ارض الحجر (عرض لرواية الكاتب
الافريقى اليكس لاجوما)

الادب الافريقى الاسيوى — القاهرة ، مارس ١٩٦٨

٨ ـ فن النحت بين افريقيا وآسيا

الادب الافريقى الاسيوى — القاهرة ، صيف ١٩٦٨

٩ ـ مجلة ٦٨ والقصة المصرية المعاصرة

المساء — القاهرة ، ٢٠ ابريل ١٩٦٩

١٠ ـ ابراهيم الكاتب وهموم العصر

المجلة — القاهرة ، سبتمبر ١٩٦٩

١١ ـ ابراهيم اصلان وقناع الرفض

جاليرى ٦٨ — القاهرة ، فبراير ١٩٧١

١٢ ـ لماذا «٦٨» ولماذا كان يجب ان تستمر

جاليرى ٦٨ — القاهرة ، فبراير ١٩٧١

١٣ ـ قراءات فى قصائد من الشعر الافريقى

الادب الافريقى الاسيوى — القاهرة اكتوبر ١٩٧١

١٤ ـ يحيى الطاهر عبد الله والرحلة
الى ماوراء الواقعية

١ ـ مقدمة «الدف والصندوق» — بغداد ١٩٧٤
وزارة الاعلام
٢ ـ «الطليعة» — القاهرة ، يونيو ١٩٧٢

١٥ ـ هيمنجواى والكلاسيكية الجديدة

روز اليوسف — القاهرة ٣ يوليو ١٩٧٣

١٦ ــ العنصر اللاواقعي عند بعض الواقعيين

روز اليوسف — القاهرة ، ٢٠ اغسطس ١٩٧٣

١٧ ــ السيريالية في القصة القصيرة

روز اليوسف — القاهرة ، ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣

١٨ ــ ايام طه حسين العامرة

روز اليوسف — القاهرة ٨ اكتوبر ١٩٧٣

١٩ ــ البير كامي والوجودية

روز اليوسف

٢٠ ــ آلان روب جرييه والشيئية

روز اليوسف — القاهرة ، ٦ مايو ١٩٧٤

٢١ ــ ناتالي ساروت والمدرسة العضوية

روز اليوسف — القاهرة ، ٢٠ مايو ١٩٧٤

٢٢ ــ محمود البدوي شاعر الحدوتة الشعبية

روز اليوسف — القاهرة ، ١٩٧٤

٢٣ ــ القيم الجمالية اساس الصلة بين الادب والمجتمع

روز اليوسف — القاهرة ، ١٩٧٤

٢٤ ــ لورنس داريل والثقافة

البيان — الكويت ، ابريل ١٩٧٤

٢٥ ــ لورد بيرون

البيان — الكويت ، سبتمبر ١٩٧٤

٢٦ ــ السيريالية فى الادب ١	
البيان	الكويت ، يناير ١٩٧٥
٢٧ ــ السيريالية فى الادب ٢	
البيان	الكويت ، فبراير ١٩٧٥
٢٨ ــ لانجستون هيوز	
البيان	الكويت ، يونيو ١٩٧٥
٢٩ ــ دفاع عن التجريبية فى الفن	
الموقف العربى	القاهرة ، يونيو ١٩٧٨
٣٠ ــ كيث دوجلاس شاعر الصحراء	
البيان	الكويت ، العدد ١٧١
٣١ ــ حول الشكل الاسطورى فى الفن	
البيان	الكويت ، يونيو ١٩٧٩
٣٢ ــ مفهومى للرواية	
الآداب	بيروت ، فبراير ــ مارس ١٩٨٠
٣٣ ــ مشاهد من ساحة القصة القصيرة فى السبعينيات	
فصول	القاهرة ، يوليو ــ سبتمبر ١٩٨٢
٣٤ ــ مقدمة الخطوبة لبهاء طاهر	
دار شهدى	القاهرة ١٩٨٤
٣٥ ــ مقدمة قالت ضحى لبهاء طاهر	
روايات الهلال	القاهرة ١٩٨٤

٣٦ ـ مقدمة عاشق المحدث لنبيل نعوم

دار شهدى — القاهرة ١٩٨٤

٣٧ ـ قراءة فى ملامح الحداثة عند شاعرين
من السبعينيات

١ ـ فكر — باريس ، يونيو ـ يوليو ١٩٨٤

٢ ـ فصول — القاهرة ، يوليو ـ سبتمبر ١٩٨٤

٣٨ ـ مقدمة العدد ١٤ عن الأدب المصرى الحداثى

مجلة الكرمل — نيقوسيا ١٩٨٤

٣٩ ـ إشراقات رفعت سلام

نقد ديوان شعر — القاهرة ، ١٩٨٦

٤٠ ـ مائيات عدلى رزق الله

دراسة فى الفن التشكيلى — القاهرة ١٩٨٦

٤١ ـ ملاحظات حول شعر حسن طلب

فصول — القاهرة ، اكتوبر ٨٦ ـ مارس ١٩٨٧
المجلد ٧ عدد ٢

٤٢ ـ قراءة ممكنة فى سبيل الخروج الى المعنى
مقدمة تلال من غروب ، لبدر الديب

كتاب روز اليوسف — القاهرة ١٩٨٨

43 —— The Age of Ideology and Polarization,Paper to symposium on Modern Literature in the Near and Middle East, SOAS, London University, 30 Apeil 1987.

44 —— Politice as Reflected in the fiction of some modern Egyptian writers, Seminer at St. Antony's College, Oxford, U.K., 8 May 1987

٤٥ ــ عكس الريح عن يوسف ابو ريه

الاخبار القاهرة ، ١٧ فبراير ١٩٨٨

46 —— Le Roman Moderne dans le Masherk Arabe Magazine Litteraire, Paris, Mars 1988

٤٧ ــ حكايات شعبية ام قصص حداثية :
دراسة لكتاب الديب رماح لخيرى عبد الجواد

اشراقات القاهرة . العدد ١٩ ، ١٥ مارس ١٩٨٨

٤٨ ــ لغتي عضوية وليست زجاجية

الاهرام الدولى ٣٠ مارس ١٩٨٨

٤٩ ــ لمحات من عالم نجيب محفوظ :
في الكتاب التذكاري نجيب محفوظ نوبل ١٩٨٨

وزارة الثقافة المصرية القاهرة . اكتوبر ١٩٨٨

٥٠ ــ ملاحظات سريعة على موضوع اللغة والهوية الوطنية

الصباح تونس ، ١٣ ديسمبر ١٩٨٨

٥١ ــ النورس وطائر الشعر العنيد :
دراسة لكتاب النورس لابتهال سالم

اشراقات القاهرة . العدد ٣٩ . ١٥ يناير ١٩٨٩

٥٢ ــ مقدمة كتاب رحيل لهاديا سعيد

النشر العربى الافريقى الرباط ١٩٨٩

٥٣ ـ وظيفة الأدب والرواية اليوم

الناقد — لندن ، يناير ١٩٨٩

٥٤ ـ آليات القصة ـ القصيدة

فصول — القاهرة العدد ٣و٤ المجلد ٨ ، سبتمبر ١٩٨٩

٥٥ ـ شعر الحساسية الجديدة في مصر

شعر — القاهرة اكتوبر ١٩٨٩

٥٦ ـ محمد حافظ رجب

المنار — القاهرة اكتوبر ١٩٨٩

٥٧ ـ ظواهر حديثة في الرواية المغربية

الناقد — لندن ديسمبر ١٩٩٠

● عن الفن التشكيلي :

١) مقدمة لكتالوج المعرض الرابع للفنان احمد مرسى

الكتالوج — ٢٥ فبراير ١٩٥٨

٢) مقدمة لكتالوج المعرض الخامس للفنان احمد مرسى

الكتالوج — ٦ يناير ١٩٥٩

٣) فؤاد كامل وعالمه الذى نزعت عنه الظواهر والسطوح

صحيفة المساء — القاهرة ١٩٦٠

٤) ماذا تعنى الصورة ؟

كتالوج معرض الفنان فؤاد كامل — ٢٤ فبراير ١٩٦٠

٥) تعليق عن المعرض الثامن للفنان احمد مرسى

مجلة جاليرى ٦٨ القاهرة — اكتوبر ١٩٦٩

٦) طاغور والفن التشكيلي

صحيفة المساء القاهرة

٧) عدلي رزق الله (مائيات)

الكتالوج ـ مائيات ١٩٨٧

٨) مائيات صغيرة

الكتالوج ـ ادب ونقد القاهرة		اغسطس ١٩٨٩

٩) الفنان احمد مرسي وقصائد له مختاره

دراسة القاهرة		١٩٨٩

● ندوات منشورة

١ ـ حول شعر السبعينات في مصر

الكرمل نيقوسيا		العدد ١٤ ـ سنة ١٩٨٤

٢ ـ حول حديث شخصي لبدر الديب

عالم الكتاب ـ القاهرة		العدد ٢ ـ ابريل/يونيو ١٩٨٤

٣ ـ سرفانتس وجاذبية الانتساب المزدوج :
حول ندوة دون كيشوت والابداع رووندة اسبانيا

اليوم السابع ـ باريس		أول يوليو ١٩٨٥

٤ ـ دون كيشوته يعود إلى الاندلس
حول الملتقى العربي الاسباني الثاني ـ روندة اسبانيا

الاهرام الدولي		١٢ اغسطس ١٩٨٥

٥ ـ تساؤلات حول الحساسية الجديدة

المجالس ـ الكويت		العدد ٧٤٤ ـ ٩ أكتوبر ١٩٨٥

٦ ـ حول زهر الليمون لعلاء الديب

الجمهورية القاهرة		٥ يناير ١٩٨٨

٧ ــ حول حاضر القصة القصيرة

الثقافة الجديدة ـ القاهرة — ١٦ أبريل ١٩٨٨

٨ ــ كتابة عبر الاجناس
حول يونس البحر لاعتدال عثمان

الرياض ــ السعودية — ١٧ ابريل ١٩٨٨

٩ ــ الف ليلة وليلة وانا حول ندوة الف ليلة ،
المرية . اسبانيا

الاهرام الدولى — ٢٣ مايو ١٩٨٨

١٠ ــ استجلاء لافق الحساسية الجديدة

عكاظ ــ السعودية — ٢٢ اغسطس ١٩٨٨

١١ ــ التغير والقص حول القصة القصيرة فى مصر

ابداع ــ القاهرة — سبتمبر ١٩٨٨

● مختارات

١ ــ مقدمة ومختارات الشعر الافريقى الاسيوى
(مع الترجمة العربية لعشرين قصيدة)

دار الآداب — بيروت ١٩٧١

٢ ــ قصص افريقية آسيوية

المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الآسيويين — القاهرة ١٩٧١

٣ ــ دراسة ومختارات القصة القصيرة فى السبعينيات

مطبوعات القاهرة — القاهرة ١٩٨٢

٤ ــ العدد ١٤ من مجلة الكرمل مع مقدمة

اتحاد الكتاب الفلسطينيين — نيقوسيا ١٩٨٤

● قصص قصيرة مترجمة

١ ـ النحلة والموت　　لويس دويل　　الولايات المتحدة

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٥/٢٣

٢ ـ الكمان　　كاميلا خوزيه سيلا　　اسبانيا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٦/٢٨

٣ ـ البحث　　رولو وولى　　انجلترا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٦/١

٤ ـ أفكار صبى　　كاميلاخوزيه سيلا　　اسبانيا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٧/١

٥ ـ الغيظان عند الحصاد　　محمود ماكال　　تركيا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٧/١٧

٦ ـ العربة المقلوبة　　محمود ماكال　　تركيا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٧/١٧

٧ ـ أمى فى رمضان　　محمود ماكال　　تركيا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٧/٢٣

٨ ـ الأطفال والعجائز　　ايفان شانكار　　يوغسلافيا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٦/٨/١٤

٩ ـ الغوغاء　　مكسيم جوركى　　روسيا

الجمهورية ـ القاهرة　　١٩٥٧/١٢/٥

١٠ ـ موت البطل　　الكسندر ساهيا　　رومانيا

المجلة الرومانية ـ القاهرة ١٩٥٩

١١ ـ أوسان   دازاى أوسامو   اليابان

الأدب الأفريقى الاسيوى
القاهرة   مارس ١٩٦٨

١٢ ـ ثلاث رؤى   آلان روب جرييه   فرنسا

جاليرى ٦٧ ـ القاهرة   ابريل ١٩٦٨

١٣ ـ الطلسم   محمد ديب   الجزائر

الادب الأفريقى الأسيوى
القاهرة   صيف ١٩٦٨

١٤ ـ شذرات من عمل لم يتم صمويل بيكيت   ايرلندا

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة

١٥ ـ الوراء   ج . م . ج . لى كليز ـ فرنسا

مجلة نادى القصة ـ
القاهرة   ابريل ١٩٧٠

١٦ ـ الغيلان السبعة   مرجريت عمروش   الجزائر

الادب الأفريقى الأسيوى يناير ١٩٧١

١٧ ـ قصص قصيرة   فرناندو آرابال   فرنسا

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة   فبراير ١٩٧١

١٨ ـ ثلاث زنبقات سوداء ووردةمُلْك راج أناند   الهند

قصص افريقية آسيوية
القاهرة   أغسطس ١٩٧٣

١٩ـ أوه . أوه . أوه .   ايدروس   اندونيسا

قصص افريقية آسيوية   أغسطس ١٩٧٣

٢٠ ـ هل تسمعها ؟ ناتالى ساروت فرنسا

المساء ـ القاهرة ٥ ديسمبر ١٩٧٥

٢١ ـ سوف تسقط الاقنعة ج . م . ج . لى كليز ـ فرنسا

المساء ـ القاهرة ٢٩ أكتوبر ١٩٧٦

٢٢ ـ موت بالع السيوف الكسندرو ساهيا رومانيا

أوراق ـ لندن العدد ١٧ ، ديسمبر ١٩٨٤

● قصائد مترجمة

ـ انشودة الجمال بودلير

مجلة التحرير ـ القاهرة ١٩٥٥

ـ بربرية ايميه سيزير

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة أكتوبر ١٩٦٩

ـ تومى بستان من ظل الضباب بيير رينو

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة أكتوبر ١٩٦٩

ـ نغمة سامقة بول ايلوار

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة أكتوبر ١٩٦٩

ـ سوف نعود أجساما من رماد جورج شحاده

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة أكتوبر ١٩٦٩

ـ فندق الذى لا وجه له جان كلود سيليريان

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة أكتوبر ١٩٦٩

ـ الأيام مظلمة أظهر عباس زايدى (الهند)

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة فبراير ١٩٧١

ـ ابيقورى الموت سوريش كولى (الهند)

جاليرى ٦٨ ـ القاهرة فبراير ١٩٧١

● برامج خاصة مع الأدباء للبرنامج الثانى :

١ ــ مولود معمرى
٢ ــ بوريس باسترناك
٣ ــ وليام جولدنج
٤ ــ هنرى دى مونترلان
٥ ــ البير كامى
٦ ــ ناتالى ساروت
٧ ــ ستيفن سبندر
٨ ــ جان جرينييه
٩ ــ اندريه بريتون
١٠ ــ ترستان تزارا
١١ ــ مالك حداد

● برامج خاصة طويلة للبرنامج الثانى :

١ ــ اورفيوس الاسطورة بين جان كوكتو وجان آنوى
٢ ــ اليكترا الاسطورة بين جان جيرودو وجان بول سارتر وأوجين أونيل
٣ ــ كليوباترا الاسطورة بين شيكسبير وجورج برنارد شو وأحمد شوقى
٤ ــ ميديا الاسطورة بين يوربيديس وسينيكا وجان آنوى
٥ ــ أوجست ستريندبرج
٦ ــ فرانز كافكا
٧ ــ مسرح طاغور
٨ ــ الدراما البدائية
٩ ــ المسرح الدينى عند الفراعنة
١٠ ــ المسرح عند الفراعنة
١١ ــ فجر المسرح الاغريقى
١٢ ــ ايسخليوس
١٣ ــ سوفوكليس
١٤ ــ يوربيدس
١٥ ــ أريستوفانيس
١٦ ــ الشعر الافريقى

● مسرحيات طويلة مترجمة للبرنامج الثانى :

١ ــ النورس أنطون تشيكوف

٢ ــ سوء التفاهم — ألبير كامى
٣ ــ الحصار — ألبير كامى
٤ ــ المجانين — ألبير كامى
٥ ــ مسافر بلا متاع — جان آنوى
٦ ــ بيكيت — جان آنوى
٧ ــ عنقاء كثيرة الظهور — كريستوفر فراى
٨ ــ سوناتا الشبح — أوجست سترندبرج
٩ ــ انتهت الحرب — ماكس فريش
١٠ ــ السلام — أريستوفانيس

● مسرحيات قصيرة مترجمة للبرنامج الثانى

١ ــ المخرب — سول بيلو
٢ ــ فى قلب السنين — اريك بير كوفيتشى
٣ ــ الاسلاف يتميزون غضبا — كاتب ياسين (مسرح الجيب)
٤ ــ الهولندى — ليروا جونز
٥ ــ الأقزام — هارولد بنتر
٦ ــ الطريق البنفسجى الى حقل الخشخاش — موريس ميلدون
٧ ــ الولد الحالم — يوجين اونيل
٨ ــ بعد يوم واحد — جوزيف كونراد
٩ ــ كلمات على زجاج النافذة — وليام بتلرييتس
١٠ ــ البروفيسور تاران — ارتير آداموف
١١ ــ الملك والمتسولة — جوفيند داس
١٢ ــ العذاب — جوفيند داس

● أهم الدراسات والمقالات عن الكاتب

ـ حيطان عالية وجو شاعرى — محمد مندور
الجمهورية القاهرة ، ٨ نوفمبر ١٩٥٩

ـ حول مجموعة قصص حيطان عالية — يوسف الشارونى
المساء القاهرة ، ٧ ديسمبر ١٩٥٩

ـ حيطان عالية — ماهر شفيق فريد
الأدب ، القاهرة ، أكتوبر/نوفمبر ١٩٦٢

ـ أقصوصة الرغبات المحبطة — صبرى حافظ
الآداب ، بيروت مايو ويونيو ١٩٥٩

ـ القديسة هنية وآخرون — عبد الجبار عباس
الكلمة ، بغداد ، تموز (يوليو) ١٩٥٩

ـ الأدب الجديد : ملامح واتجاهات — غالب هلسا
جاليرى ٦٨ ، القاهرة ، ابريل ١٩٦٩

ـ عن الجديد والقديم والذى بين بين — شفيق مقار
جاليرى ٦٨ ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٦٩

ـ فى الشوارع — صبرى حافظ
الاداب ، بيروت ، أغسطس ١٩٧٠

ـ من حيطان عالية إلى ساعات الكبرياء — نعيم عطية
الزهور ، القاهرة ، فبراير ١٩٧٤

ـ سجادة فارسية من أرض مصر — علاء الديب
صباح الخير ، القاهرة ، ٤ يوليو ١٩٧٤

ـ المعمار الفنى فى ساعات الكبرياء — ضياء الشرقاوى
الأقلام بغداد ، نوفمبر ١٩٧٤

ـ ساعات الكبرياء — نعيم عطية
الكاتب ، القاهرة ، مايو ١٩٧٥

ـ صوت صارخ فى الشوارع ينادى باسمك — بدر الديب
الآداب ، بيروت ، مايو ١٩٧٥

ـ الصورة الفنية فى قصص ادوار الخراط — نعيم عطية
لوتس ، يناير يونيو ١٩٧٦

ـ Les Heures d'Orgueil فصل من كتاب — أمال فريد :
Panorama de la Litterature Arabe Moderne
الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨

ندوة مع النقاد — كمال ممدوح حمدى

البرنامج الثانى ١٣ فبراير ١٩٨٠

الآداب ، بيروت ، نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٩

ــ رامة والتنين ماساة مصرية — سامى خشبة

فصول ، القاهرة ، يناير ١٩٨١

ــ رواية عظيمة — ماهر شفيق فريد

الثقافة القاهرة ، مايو ١٩٨١

ــ القصة القصيرة بين الشكل التقليدى والاشكال الجديدة — آمال فريد

فصول ، القاهرة ، يوليو/سبتمبر ١٩٨٢

ــ مؤثرات أوربية فى القصة المصرية — نعيم عطية

فصول ، القاهرة ، يوليو/سبتمبر ١٩٨٢

فى السبعينيات

Journal of Arabic Literature, XV, AN OPEN WOUND, Catherine Cobham and COMMENTARY ———

ــ حول بويطيقيا العمل المفتوح — سيزا قاسم

فصول ، القاهرة ، العدد ٣ المجلد ٤

ــ اشكالية الحب والجنس فى رامة والتنين — جمال شحيد

المعرفة دمشق ١٩٨٤٦ ؟

ــ الحلم ينحل فى الكتابة — الياس خورى

السفير بيروت ، ١٤ يوليو ١٩٨٤

ــ من تجليات الحداثة — ماهر شفيق فريد

ابداع ، القاهرة ، اغسطس ١٩٨٤

ــ رؤيا ليوم القيامة — شفيق مقار

الدستور لندن ، ٢٧ اغسطس ١٩٨٤

ــ تشريح العشق — فخرى صالح

المهد الأردنية ، شتاء ١٩٨٥

ــ رؤيا الوجود الأعمى — غالى شكرى

الوطن العربى ، باريس ، ٢٨ يونيو ١٩٨٥

ـ الزمن الآخر والوعى الفيزيقى — بدر الديب
ابداع ، القاهرة ، اغسطس ١٩٨٥
ـ الزمن الآخر : انصهار الحلم والاساطير — شاكر عبد الحميد
فصول ، القاهرة ، يوليو /سبتمبر ١٩٨٥
ـ محطة السكة الحديد : محاولة ايقاعية جديدة — شمس الدين موسى
الجمهورية ، بغداد ، ١٣ ديسمبر ١٩٨٥
ـ أثر الموسيقى فى رامة والتنين ، فصل
من كتاب بين الموسيقى والأدب » — سعد محمد على
دار آفاق ، بغداد ، ١٩٨٥

—— Le Nouveau Roman Egyptien (1975-1985) Jean Fontaine IBLA 158 Tunis 1986

—— Moderne Literatur in Aegypten, Elisabeth Claus Kairo N 3 & 4 1986

ـ السعى الدائم نحو الكمال — جمال القصاص
المجلة ج لندن ، ٢٥ يناير ١٩٨٦
ـ البكاء على اطلال البراءة — على الراعى
المصور ، القاهرة ، ١٤ فبراير ١٩٨٦
ـ قراءة فى ترابها زعفران — الياس خورى
السفير ، بيروت ، ١٩ فبراير ١٩٨٦
ـ تشكيل فضاء النص فى ترابها زعفران — اعتدال عثمان
فصول القاهرة ، ابريل/يونيو ١٩٨٦
ـ ترابها زعفران — علاء الديب
صباح الخير ، القاهرة ، ٢٢ مايو ١٩٨٦
ـ لحظات طفولة تكتسح الفضاء — محمد برادة
اليوم السابع ، باريس ٢٦ مايو ١٩٨٦
ـ من مقال :قص الحداثة — نبيلة ابراهيم
فصول القاهرة ، يوليو/سبتمبر ١٩٨

ـ من مقال جدلية الجنون والابداع — يحيي الرخاوى
فصول القاهرة ، يوليو /سبتمبر ١٩٨٦
ـ حول محطة السكة الحديد — صبرى حافظ
الاقلام ـ بغداد ـ نوفمبر /ديسمبر ١٩٨٦
ـ رامة والتنين واللغة المتميزة — جهاد مجيد
فنون ، بغداد ، ٦ ابريل ١٩٨٧
ـ اسهام الرواية العربية في أساليب
القص العالمية فصل من كتاب
« الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع » — فريال غزول
مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨٧
ـ استدعاءات الفن والحلم في ترابها زعفران — صبرى حافظ
العرب-لندن ، ٢٧ يوليو ١٩٨٧

——— Autorenportat, Elisabeth Claus, Literaturn a chrichten, Frankfurt, Dezember 1987

ـ ترابها زعفران : الاسكندرية يصنعها
الخيال ، من كتاب «ارض الخيال» — فخرى صالح
المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٨
ـ قراءة جديدة لرواية ادوار الخراط رامة والتنين، مركز الانماء القومى
بيروت، افاق عربية بغداد ، يناير ١٩٨٨
ـ فتى دفعته الحداثة الى مجاهل
المدينة الفاضلة — غالى شكرى
اليوم السابع ـ باريس ، ٢٢ فبراير ١٩٨٨

——— El Kharrat, Les Clés d'Egypte P. Cardinal, Libération, Paris, 9/3/1988

ـ قراءة في ترابها زعفران — اعتدال عثمان
شؤون ادبية ـ الامارات ، العدد ٦ ، ١٩٨٨
الناقد ـ لندن ، نوفمبر ١٩٨٨

ــ تقنيات الحداثة في روايات ادوار الخراط القاهرة ، ١٥ سبتمبر ١٩٨٨	جمال نجيب التلاوى
ــ قراءة في رواية الزمن الآخر الرياض ٦ اكتوبر ١٩٨٨	عالية ممدوح
ــ ترابها زعفران الاسكندرية البلورية الرياض ، ٩ مارس ١٩٨٩	عالية ممدوح
ــ نطق نيابة عن المدينة الحياة ــ لندن ، ٢٤ يناير ١٩٩٠	حسن داود
ــ يا بنات الاسكندرية القدس ــ لندن ، ١ مارس ١٩٩٠	جورج جحا
ــ ترابها زعفران الشرق الأوسط ــ لندن ، ١ يونيو ١٩٩٠	احمد عباس صالح
ــ حبر الرغبة الناقد ــ لندن ، سبتمبر ١٩٩٠	عباس بيضون
ــ معارضة نصّية للقصص العربي المعاصر الحياة ــ لندن ، ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠	السيد فاروق
ــ رسائل الراهب القبطي إلى الاسكندرية الاتحاد الاشتراكي ــ الرباط ، ١٤ أكتوبر ١٩٩٠	شعيب حليفي
ــ أفق الكتابة الحديثة في « رامة والتنين » العلم الثقافي ــ الرباط ، ٢٤ نوفمبر ١٩٩٠	أبو اسماعيل اعبو
ــ الدخول من الباب الضيق الشرق الأوسط ــ لندن ، ٩ ديسمبر ١٩٩٠	السيد فاروق

● كتب مترجمة :

١ ــ الخطاب المفقود ، ا.ل . كارجيالى ، مسرحية ، الدار المصرية للكتب		القاهرة ١٩٥٧
٢ ــ الحرب والسلام ج١ و ٢ ، ليوتولستوى ، رواية ، الدار المصرية للكتب		القاهرة ١٩٥٨
٣ ــ الغجرية والفارس قصص رومانية ،	الشركة العربية للطباعة والنشر	القاهرة ١٩٥٨
٤ ــ شهر العسل المر ، قصص ايطالية	كتب ثقافية	القاهرة ١٩٥٩
٥ ــ فارالاكو ، اميل سيسيه ، رواية غينية	الألف كتاب	القاهرة ١٩٦٢
٦ ــ انتيجون ، جان آنوى ، مسرحية (بالاشتراك مع الفريد فرج)	الالف كتاب	القاهرة ١٩٦٢
٧ ــ مشروع الحياة ، فرانسيس جانسون ، ،، دراسة سيمون دى بوفوار	دار الآداب	بيروت ١٩٦٧
٨ ــ ميديلجان آنوى ،	مسرحيةمجلة المسرح	القاهرة ١٩٦٨
٩ ــ الوجه الآخر لامريكا ، ميكائيل هارنجتون ،	دراسة ، دار الاداب	بيروت ١٩٦٨
١٠ ــ تشريح جثة الاستعمار ، جى دى بوشير ،	دراسة ، دار الآداب	بيروت ١٩٦٨
١١ ــ الشوارع العارية ، فاسكو براتولينى ،	روايةدار الآداب	بيروت ١٩٦٩
١٢ ــ نحو التحرر ، هربرت ماركوز	دراسة ، دار الآداب	بيروت ١٩٧٢
١٣ ــ حوريات البحر ،	قصص امريكية ، دار الهلال	القاهرة ١٩٧٩
١٤ ــ الاسلام والاستعمار رودلف بيترز	دراسة ، دار شهدى	القاهرة ١٩٨٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٠٩٦ / ١٩٩١

ISBN 977-01-3939-9

جسم البيت القديم جسم الحب القديم يحيط بى من كل جانب ، وعيون الحب النجلاء تهاجمنى وتطعننى لا تطرف لا تتوقف .

كان رخام جسدك الخمرى الحار ، فى سمرة الغروب ، معجونا بالحب والألم الذى لا يريم . جماله قهرى شامخ ، وما أطوعه بين ذراعى ، ما أنعم لدونته .

قلت لى : وقائع الحياة ليست فى شعرها . الشعر فى النهاية لا يقين فيه ، ولا اطمئنان له .

بصوتك المدرب المتقن ، وثيرا سلسا ومشحونا بطاقة جنسية سيالة .

قلت لك : هو كل اليقين . ما دامت الحياة ـ كل الحياة ـ سؤالا ليس له من مجيب .

٢٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب